٢٧٢

HARLEQUIN

روايات احلام

... ويبقى السؤال

مارغريت واي

www.elromancia.com
مصورية

... ويبقى السؤال

هذه الشابة الرائعة الجمال لم يكن فيها صفة من الصفات التي يريدها في المربية..

لا بدَ أنه مجنون! ومع ذلك، ملأ عطر كاري الخفيف، جو السيارة بصور لبراعم الربيع والنسيم العذب..

كانت مشاعره أصعب من أن يدرك غورها، بعد أن فقد زوجته. فكيف تستطيع هذه الشابة المدللة ابنة المجتمع المخملي أن تتحمل تلك الحياة المنعزلة مع ابنته ومعه هو، «سيد مارامبا»؟.

- هل تريدين هذا العمل حقاً؟

اجابت بصراحة: «حالياً، أنا في أمسّ الحاجة إليه!».

... لكن إلى متى؟ وما الذي سيجبرها على البقاء؟

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.
سوريا: ٧٥ ل.س.
الأردن: ١,٥ دينار
الكويت: ٧٥٠ فلس
الإمارات: ١٠ دراهم
قطر: ١٠ ريال

البحرين: ١ دينار
السعودية: ١٠ ريال
مصر: ٦ جنيه
المغرب: ١٥ درهم
تونس: ٢ دينار
عُمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-109-1

مارغريت واي

إنها أسطورة في عالم الروايات العاطفية وقرّائها. تنشر لها روايات منذ ٣٠ سنة. عرفت بشخصياتها الشغوفة القوية ووصفها الوجداني المعبّر لطبيعة أستراليا.

ولدت مارغريت وترعرعت في مدينة بريسبين القائمة على ضفاف نهر، وهي تقيم الآن على مقربة من مدينة «موريتون بي» في مقاطعة «كوينزلند». تعشق هذه الكاتبة وصف بلادها وصفاً حيّاً للقرّاء.

قبل أن تنصرف للكتابة كانت مارغريت تحترف العزف على آلة البيانو وتعطي دروساً في العزف والغناء وترافق كبار المؤلفين والمغنّين. وهي تعزف حتى الآن بشكل جدّي. إلى ذلك فهي تهوى جمع التحف والأعمال الفنية والعناية بحديقتها.

١ ـ لعبة القدر

لم تر السيارة إلا بعد أن اتجهت صعوداً نحوها. . كانت من طراز «جاغوار» فضية فخمة وحديثة. تبينت ذلك قبل أن تشمل بنظراتها الشارع الذي تحفه أشجار الجاكاراند، لم يكن ثمة شيء في هذا الشارع الجانبي الضيق حيث دوماً توقف سيارتها عندما تزور خالها العزيز جايمس هاليداي، احد أصحاب مكتب هاليداي وسكولز وشركائهما وهم وكلاء قضائيون ومستشارو ضرائب لأصحاب الثراء.

بدا المكان يغص بالسيارات ما عدا بقعة كان من حسن حظها أن خرجت منها سيارة لتوها فركنت هي مكانها. وكان خلفها، فسحة مناسبة لسيارة صغيرة بحجم سيارتها.

حاولت في الماضي ركنها في موقع مماثل فانتهى الأمر بخدش ظاهر في المؤخرة، وعندما كانت تلقي نظرة رأت سيارة تحاول أن تجد مكاناً لها. . لم تكن هناك طريقة تمكّن بها سائق الجاغوار الفخمة تلك من أن يحشر سيارته في تلك البقعة. ومنحتها هذه الفكرة نوعاً ما من الشماتة.

أقفلت «كاري» سيارتها، على أمل أن تبتعد الجاغوار عن المكان. وإذ بالسائق، يستمر في سيره مقترباً منها إلى حد شعرت معه بتصاعد قلقها المألوف. التصق جسمها بجانب سيارتها وهي تنظر كالمسحورة إلى السائق ذي الشعر الاسود الفاحم وهو يهم بالرجوع بالسيارة إلى الوراء لركنها. على ما يبدو يتمتع هذا الرجل بجرأة زائدة.

الواضح أنه سيصطدم لا محال بجذع الشجرة إلا إذا كان يعرف بالدقة حجم سيارته والمساحة المتوفرة له. كانت تعلم أنها كانت تحدّق إليه، وقد مالت بجسمها فبدت وكأنها امرأة تحاشت لتوّها اصطدام السيارة بها. لم تعرف ما إذا كان عليها أن تضحك أم تبكي. كل ما كانت تعرفه أنها لم تستطع أن تسيطر على ردة فعلها فمنذ حادث الاصطدام الذي تعرضت له فقدت اتزان أعصابها وأصبحت ردات فعلها غريبة حتى عن نفسها.

تملكتها الحيرة وهي ترى السائق يدخل سيارته الضخمة ببراعة في تلك المساحة الضيقة فشعرت بالإعجاب رغماً عنها إذ يبدو أن الرجال وحتى الأغنياء منهم يعرفون تماماً كيف يوقفون السيارة رجوعاً.

لو كانت امرأة أخرى لصفقت له حتماً.

نظرت كاري بعيداً متظاهرة بعدم الاكتراث. كان خفقان قلبها قد هدأ الآن بعد أن أصبح بإمكانها أن تذهب في سبيلها. تنبهت أخيراً أنها نسيت نظاراتها الشمسية وأن شمس الربيع تبهر بصرها عندما تتسلل من بين أوراق الأشجار. والواقع أن مدينة «بريزبين» بأكملها تترقب الربيع باستثناء الطلاب، لانشغالهم في هذا الوقت بالامتحانات. كانت تدرك كل ذلك لأنها تخرجت بدورها بدرجة امتياز من المعهد الموسيقي قبل فترة وجيزة وربحت المدالية الذهبية عن عزفها الرائع، ونالت جائزة العازفين الشبان لعزفها «كونشرتو» «رخما نينوف» الثانية على البيانو، وقُبلت في «أكاديمية جوليارد» العريقة في نيويورك.. كانت شابة تعد بمستقبل باهر، إلى أن وقع الاصطدام.

هزت كتفيها بتعاسة، ثم فتحت باب سيارتها وتناولت نظاراتها، ثم صفقت الباب بعنف لتتخلص بذلك من انفعالها.

التفتت إلى الرجل الذي كان يخرج من السيارة محدقاً فيها وعلى وجهه علامة استفهام للتعبير البادي على وجهها.. أو ربما في قلبها؟ هزتها هذه الفكرة. كان شعره الأسود وبشرته السمراء تتوهجان تحت أشعة الشمس الساطعة.. إنه بطول جبل «إفرست» وله هيبته. ومن الممكن جداً

أن يكون فاحش الثراء. فمثل هذه الهالة التي تحيط به، تأتي فقط مع أطنان من المال. لم يكن يبدو أنه من الملتزمين بالمكاتب وكان يبدو بالغ النفوذ والقوة، ذا عضلات صلبة تحت ملابسه الأنيقة. كانت مشيته رياضية ثابتة. وأحست أن اسمرار بشرته لم يحدث من الاستلقاء على الشاطئ. بادلته التحديق، فلقد كان مزاجها سيئاً في النهار وكان هو السيد محطم القلوب... السيد المزعج... من صنف الرجال الذين يضيئون محيطهم.

ـ هل ثمة مشكلة؟

شد صوته انتباهها.

كان في صوته سطوة غير عادية، وثقة بالغة بالنفس. من الواضح أنه رجل واسع الثراء. يبدو أنه رئيس شركة كبرى. رجل يعطي الأوامر كل يوم، فيهب الآخرون للتنفيذ، ما عداها هي، فقد كانت تتباهى بأنها لا تخضع لأحد رغم أن جسدها أنبأها بأن شيئاً ما يحدث لها. لِمَ ينظر إليها بهذا الشكل؟ هي تشعر بنظراته تخترق جسدها مباشرة.

ومع ذلك أجابت ببرودة: «لا أبداً، ولكنني كنت أتابع محاولاتك لإيقاف السيارة في مكان ضيق. لم أظنك ستنجح».

فقال: «ولم لا؟ لم يكن الأمر صعباً».

كانت التسلية تبدو عليه. نظرت إليه وهو يقترب منها، برجولته الفائضة. وتوقف قبل أن تحتويها رجولته كلياً.. لقد جعلها وهي الطويلة بين النساء تشعر وكأنها دمية وكان هذا شعوراً مذلاً لها، تصلب له ظهرها.

فكرت بعينيه المتألقتين: كيف يمكن لعينين سوداوين أن تمتلئا بكل هذا الشعاع؟ عيناه هاتان استمرتا في اكتساحها، من دون أن يفوتهما شيء بما في ذلك تلك الشامة الشبيهة بالقلب فوق صدرها.

قال: «لدي انطباع حاسم بأنك ظننت أنني على وشك أن أدهسك».

ردت متحاشية الجواب: «وعلام استندت في ذلك».

فقال: «الواقع أنك بدوت وكأنك على وشك الانهيار. لا يمكن أن

تكوني خفت حقاً، أليس كذلك؟».

فأجابت بحزم وإحساس بالمرارة يغلّفها: «لا، طبعاً».

فقال: «هذا جيد فأنت لم تكوني في خطر على الإطلاق، وربما يفيدك أن تعترفي بأن للسائقين الذكور، قدرة على القيادة أكثر من النساء. وبالمناسبة فإن عجلتك الخلفية اليسرى محشورة في الميزاب».

لم تشأ أن تلتفت لترى فيشمت بها فعلّقت بالقول: «اعترف بأنني لست أمهر سائقة في العالم».

ردّ بسخرية لاذعة: «هذا واضح تماماً. اطمئني فأنا لست مزعجاً».

فقالت: «لم يخطر ببالي ذلك».

قال: «وبم تبرّرين سبب خوفك إذن؟ فوجودي لا يضايق في العادة هكذا».

ذهلت لكلامه فردت بسخرية: «وهل أنت واثق؟».

لمعت عيناه الفاحمتان وهو ينظر إليها وكأنما لم يسبق أن تحدث إليه أحد بهذا النحو، وقال: «من الواضح أنك لا تعرفينني. أتريدينني أن أرافقك إلى الناحية الأخرى من الشارع؟».

قال هذا بأسلوب رقيق غير متوقع وهو يشمل الشارع بنظراته. قالت بعذوبة: «أنت تمزح من دون شك».

أجاب بصوت حازم: «أنا لا أمزح. كما أنني أراك تمسكين طرف ثوبك بتوتر».

نظرت إلى أسفل فوجدت نفسها تفعل ذلك وهذه عادة تلجأ إليها عندما يصيبها التوتر، فقالت: «لا بأس. أقرّ بأنني ظننتك دنوت مني أكثر من اللزوم».

فقال: «عليك أن تتحدثي إلى شخص عن هذا الأمر؟».

سألته وقد احمر وجهها وبدا العداء في صوتها: «أي أمر؟».

فنظر إليها مباشرة: «أظن أنك مصابة بعقدة نفسية».

لقد أخطأت بالتحدث إليه كما تبينت فرمقته بنظرة قاتلة: «أتقول إن

لدي عقدة نفسية؟ إنك تتخطى حدودك تماماً».

بدا عليه عدم الاهتمام وهو يهز كتفيه: «هذا ما يبدو لي جلياً».

وكان في هذا القشة الأخيرة التي قصمت ظهر البعير.. كيف يفهم غريب شخصيتها بهذه السهولة! أشاحت بوجهها بعنف ما جعل شعرها الحريري الكهرماني يتطاير حولها. ردت بإيجاز: «طاب يومك».

فحياها باختصار ونظر، وهي تبتعد، إلى ساقيها الرائعتي الجمال. بدت غاضبة وهي تهمهم بكلام لم يفهم منه شيئاً.

وإذا بها تلتفت فجأة وكأنها تريد أن تكون لها الكلمة الأخيرة لإنقاذ كرامتها. فقالت بكبرياء: «أرجو أن لا تكون مصمماً على إيقاف سيارتك هناك مدة طويلة. أنت تعلم أن مكانك غير مناسب، لقد حذرتك».

وتابعت تقول: «قد أصدمك إذا اضطررت للخروج من مكاني قبلك. لقد حشرتني في الواقع».

فقال وهو يتقدم بحيوية فائضة: «لا، أبداً».

ومنحها ابتسامة أحدثت فيها تأثيراً غريباً. كان حضوره مهيباً وتصرفاته كذلك. ربما يخاطبه موظفوه ناظرين إلى قدميه من المهابة، كما أن ابتسامته تلك كانت غير عادية، ما جعلها ترتعش.

قال ببساطة: «أنا لست قلقاً. بأية حال، اتركي اسمك وعنوانك تحت مسّاحة المطر فيما لو حدث شيء».

فقالت: «سأحرص على أن لا يحصل شيء».

أخذ يفكر في ما يجعله مستمتعاً بهذا المشهد. هذه المرأة لم تكن عدائية فقط، ولكن مألوفة له بشكل غريب. شعرها الأحمر ينسجم مع لون بشرتها النادر. شعر أصهب يشعّ نوراً... وبشرة نقية مخملية تصبح بلون الخوخ إذا احمرت حياء، وعينان ذهبيتان بلون التوباز تقريباً. مضت سنوات لم ير فيها فتاة بمثل مواصفاتها ولكنها مجرد طفلة تفوح منها رائحة الصبا والنضارة وربما تصغره بعشر سنوات أو اكثر فهو سيتم الثانية والثلاثين قريباً. رجل مطلّق ولديه طفلة تدعى «ريجينا» يحبها من كل

قلبه. ولكن ريجينا لم تكن في الحقيقة طفلته بل هي ثمرة إحدى علاقات زوجته السابقة. وتعجب لكون المرأة التي تبتعد الآن عنه قد أخرجت من ذهنه كل تفكير في شارون.

صاح في إثرها: «حذار، أنتن فتيات المدن عدوانيات للغاية».

وجدت كاري نفسها تقف مرغمة..

فتيات المدن! أليس هذا غريباً؟

وردت عليه متحدية: «وأنت؟ من أين تأتي».

فقال ببطء: «من مكان بعيد من هنا».

فقالت: «حسبتك من الرجال الذي يعلمون دوماً ما ينتظرهم».

فرد: «حذار، قد أكون هنا عندما تعودين».

لوّحت كاري بيدها إلى الخلف وكأن كل ما قاله لم يكن ذا أهمية. أحست أنها كانت فظة، لكن تبادل الكلام معه أدخل السرور إلى قلبها الحزين وهذا لم يحصل لها من قبل... ربما سيكون موجوداً عندما تعود. وغمرها إحساس بالإثارة جعلها تؤنب نفسها لأفكارها الصبيانية.

***

أعلنت سكرتيرة جايمس هاليداي عن قدومها كما يعلن حاجب عن زائر للبلاط الملكي.

لقد عرفت الآنسة غالبالي منذ كانت فتاة صغيرة، لكن السكرتيرة لم تبدل مرة واحدة تصرفها الرسمي. لقد كانت الآنسة غالبالي امرأة متوسطة السن، كئيبة المزاج ذات مظهر مرتب. لطالما علمت كاري أن الناس يعتبرونها مخيفة. لكنها وحسب قول خالها كانت «كاملة» تقريباً.

هتف خالها وهو يفتح لها الباب بنفسه: «كاري... حبيبتي!».

كان رجلاً ساحراً لطيف المعشر، في الخمسين من عمره رغم أنه لا يبدو كذلك، يكبر أمها المتوفاة بأربع سنوات ولكنه يشبهها في المظهر تماماً. أشار إليها بالدخول إلى المكتب الذي يشبه باتساعه محطة وكان يطل على مشهد رائع للنهر. كانت جدرانه مغلفة بخشب المهوغني ومغطاة

بخزائن قديمة مليئة بمجلدات في القانون، وبتخطيطات هندسية قيّمة احتلت بقية مساحة الجدار مع بعض اللوحات الزيتية التي تحوي مناظر طبيعية أخاذة موضوعة في أطر مذهبة. أما ارض المكتب فتغطيها سجادة عجمية خلاّبة.

من الواضح تماماً أن خالها رجل ناجح في عمله، ولكنه لا يوازي والدها الذي يملك شركة كهربائية ضخمة.

لم يكن الرجلان منسجمين معاً، فقد كانت شخصيتاهما مختلفتين وكذلك اهتماماتهما ومهنتاهما. كانت كاري تحبهما معاً ولكنها ورثت عن أمها حبها للفنون وهو ميدان بعيد عن اهتمام أبيها وزوجته غلينداً وأختها من أبيها ميليسا التي تصغرها بثلاثة أعوام.

سألها خالها: «أتريدين قهوة يا عزيزتي؟».

ونظر إلى ابنة أخته متفحصاً إياها بعطف ظاهر. لقد عانت محنة قاسية أخمدت حيويتها المميزة. لكنه كان يعلم في أعماقه بأنها تتمتع بالإرادة الصلبة التي تخولها الخروج من وضعها لتحقيق أحلامها.

غاصت كاري في كرسي جلدي وثير وقالت برقة بعد أن طلب لها خالها القهوة: «أود ذلك فلم يعد من يشرب القهوة في بيتنا. لقد أقنعت «غلينداً» أبي أنها تضر بصحته وبصحة كل شخص آخر كما أن شرائي لها لم يعجبها. عليّ أن انتقل من البيت، وهذا ما سيحصل أولاً أو أخيراً. بما أنني لن أذهب إلى نيويورك، فكلما استعجلت في الانتقال، كلما كان ذلك أفضل. لا شك أن أبي سيحزن لذلك ولكنه لا يمكث في البيت طويلاً لكي يرى كيف تجري الامور بيننا».

فقال جايمس بأسى: «من المؤسف جداً أنكما، أنت وأختك ميليسا، غير متحابتين».

فقالت كاري: «غلينداً هي السبب. فلولا إثارتها غيرة ابنتها نحوي، لما شعرت ميليسا بها».

فقال: «أنا أعرف أن «غلينداً» جعلت حياتك صعبة».

اكتفى جايمس بهذا القول المختصر بينما كان يتمنى أن يقول الكثير. أوضحت كاري: «هي لم تحبني قط، يا جايمس، فهي لم تكن تريد طفلة تذكر زوجها بزوجته السابقة، وأنا أقسم أنها تغار حتى الآن من أمي».

أومأ جايمس موافقاً، فقد لمس دلائل كثيرة تؤكد كلامها. وقال: «إنها لا تستطيع منع نفسها من ذلك فهذه طبيعتها. ونحن الإثنين نعلم، أيضاً، بأنها تكره موهبتك وكل ما ظفرت به من انتباه بسبب الجوائز والمكافآت التي تلقيتها».

فقالت بجفاء: «لم يعد هناك مبرّر لقلقها الآن».

فقال يذكرها: «ولكنك مازلت عازفة بيانو رائعة».

فقالت: «لا يبدو لي تعويضاً يذكر... لقد حصل الاصطدام في نفس اليوم الذي استلمت فيه خبر قبولي في «أكاديمية جيليارد». لقد لعب القدر ضدي».

فقال جايمس ينبهها: «كانت مأساة، يا حبيبتي، ولكن لا يمكنك أن تدعيها تدمّر حياتك. إنك بحاجة إلى نقاهة لاستجماع شتاتك إذ كادت العواقب أن تكون أسوأ بكثير من مجرد ضلوع مكسورة وإصبع محطم».

فقالت: «أعلم. إنني أحاول... حقاً. ولكن ذلك صعب.. الغريب أن أبي كان حزيناً ولكنه ارتاح فهو لم يكن يريد مني أن أرحل إلى الخارج. إنه يريد أن أبقى قربه، وأتزوج وأستقر، فهو يريد أحفاداً في الوقت المناسب».

إنه يريد ويريد... كما اخذ جايمس يفكر.. كان ايضاً يريد أختي الرائعة الجمال، لكنه لم يسعدها إطلاقاً إذ كان يحاول أن يقيّد روحها، بينما عجز عن ذلك مع ابنته.

وقال بصوت عالٍ: «لدى أبيك ميزات حسنة كثيرة ولكنه ليس موسيقياً».

فأجابت بضحكة متهدجة: «تعني أن ليس لديه حس موسيقي! كان يزهو بي دوماً لكنه لا يستطيع أن ينسجم مع الموسيقى التي أعزفها...

أعني التي كنت أعزفها، فأنا لم المس البيانو منذ الحادث».

فصحح لها: «منذ سنة تقريباً».

فقالت: «إنه وقت قصير جداً».

نظر في عينيها المغرورقتين: «معك حق. إنه وقت لا يكفي لشفاء قلبك المحطم وخيبة أملك المرّة».

فقالت: «أنا لا أحب مهنة التعليم يا جايمس، لقد ولدت لتأدية العروض، لا لتعليمها».

أجابها: «ما زلت صغيرة جداً، فإثنان وعشرون عاماً لا يُعد عمراً».

فقالت بحدة: «ولكنه يكفي للانتقال من بيتنا وللعيش وحدي. كان عليّ أن أفعل ذلك قبل الآن لكنني لم أشأ أن أؤلم أبي. «غليندا» لن تحبني أبداً ولن نصبح صديقتين».

أعلن خالها باشمئزاز: «لا أريد أن أبدو فظاً ولكن ميليسا مثل أمها أو على وشك أن تصبح مثلها، أظن أن انتقالك هو الحل الأفضل للجميع. إلى أين تودين الذهاب؟ أنت تعلمين أن بإمكانك الإقامة معنا أنا وليز. نحن نحبك جداً وليس لدينا أولاد. ستكونين كل شيء بالنسبة إلينا».

قالت: «أنت رائع معي، كما أن ليزا أكثر من أم بالنسبة لي، ولكن الوقت حان لأستقل بنفسي يا جايمس وأنت تعلم أن الحق معي».

فقال: «حتماً سيشتري لك أبوك شقة، فهو رجل ثري، أليس كذلك؟».

أجابت: «لن أطلب منه، لأن غليندا لن تقبل بذلك، لقد اشتريت سيارتي، وسأستأجر شقتي».

لكن خالها الحنون لم يعجبه قولها على الإطلاق، فسألها: «وماذا لو اشتريت لك أنا شقة؟ يمكنني ذلك طبعاً ولكنني لا أريد أن أكون ضد أبيك...».

سكت، فأكملت عنه قوله: «أشكرك على كل شيء، يا جايمس. لكنني مستعدة وقادرة على الوقوف على قدمي، يعلم الله أنني بقيت تلميذة

مدة طويلة، ويفترض بيّ أن أباشر العمل للحصول على درجة الدكتوراه، قد لا أتمكن من الحصول عليها بصفتي عازفة. لكن الموسيقى هي حياتي. لقد أجهدت نفسي في العمل طوال تلك السنوات في التدريب! وأظن أن عليّ الآن أن أقتصر على مهنة تدريس الموسيقى ولهذا سأكون بحاجة إلى كل المؤهلات التي أستطيع الحصول عليها».

فقال: «أوافقك الرأي ولكن كيف ستعيلين نفسك إذا كنت ترفضين المساعدة؟ العمل ينصف دوام لا يكفي وكذلك إعطاء دروس خاصة».

قالت: «يبقى لديّ ميراث جدتي».

مشيرة بذلك إلى جدتها لأمها التي أودى بها الحزن لفقدانها أم كاري، وتابعت تقول: «إنه يكفيني. أريد فقط أن أبتعد ولو لفترة، عليّ أن أتجنب مشاهد الموسيقى إلى أن أعتاد على ما حدث لي».

ردّ خالها بتأثر بالغ: «أفهم شعورك، يا حبيبتي، لديّ عميل وهو أهم عميل لدينا، يبحث عن مربية لطفلته الصغيرة ولكنك لست من صنف المربيات».

قالت: «ومن قال هذا؟».

فضحك: «يا حبيبتي. أنت شابة موهوبة ورائعة الجمال ومن هي بجمالك يجب أن تتباهى بنفسها لا أن تختبيء في البراري».

فرفعت حاجبيها: «البراري؟ أخبرني المزيد».

قالت هذا وهي تخفي ألماً حاداً في داخلها.

فقال: «آسف لحديثي معك على هذا النحو...».

وسكت عندما سمع طرقاً على بابه، ثم دخلت موظفة المكتب تدفع أمامها عربة محضرّة على شكل وليمة صغيرة، كان جايمس هاليداي شغوفاً بالحلويات من دون أن يبدو ذلك على وزنه.

قال وهو يبتسم للفتاة بظرف: «ضعيها هناك، يا «آن» تبدو لي شهية حقاً».

وعندما خرجت الفتاة، سألته كاري بعجب: «وكيف لا تسمن؟».

ونهضت لتسكب الشاي بينما أجابها: «سأخرج في رحلة بحرية هذه العطلة الأسبوعية. هل تأتين معي؟».

فتألقت عيناها: «نعم، أرجوك».

كانت تعشق ركوب البحر. وهي منذ طفولتها ترافق خالها في رحلاته البحرية.

عندما جلسا يرتشفان القهوة، عادت إلى الموضوع الذي كانا يتحدثان فيه: «أفهم من ذلك أن وظيفة المربية ستكون في ممتلكات برية».

فقال: «كلمة ممتلكات لا تنطبق على ذلك المكان، يا عزيزتي، لأنه أشبه بمملكة خاصة، الأسرة عبارة عن عمال مهرة يسيطرون على أكثر من أربعة ملايين هكتار من الأراضي وعميلي هو أحد اكبر البارونات ذوي الأملاك الخاصة، وكما تعلمين، «كوينزلاند» تبقى موطن اكبر ملوك المواشي في الأرياف».

سألته وهي تنهي قهوتها: «ما اسم المنطقة؟».

فأجاب: «مارامبا. مرتفعات مارامبا».

فقالت: «واثقة من أنني سمعت بها من قبل».

فقال: «هذا ممكن جداً. لأن اسم «رويس» يرد غالباً في الأخبار».

فسألته: «رويس ماذا؟ هيا... لماذا أنت بهذا الحذر؟».

فقال وقد ندم لمجرد التحدث عن الموضوع: «يا حبيبتي كاري... هذا العمل لن يناسبك».

قالت: «الحقيقة أن اهتمامي يزداد دقيقة بعد أخرى».

فقال: «هذا لن يحدث. لقد فهمت أن الطفلة... صعبة للغاية ولم ترض مربية أن تستمر معها».

سألته: «وماذا يمكن لشقية صغيرة أن تفعل؟».

ذلك أنها تشعر بشيء من الرقة نحو الأطفال الأشقياء لأنها كانت، هي نفسها، واحدة منهن.

وضحك جايمس: «أعرف في ما تفكرين. ألم تكن «غليندا» تشكو

منك دوماً؟ وطبعاً، نظرة رويس إلى هذا الأمر مختلفة.. المربيات هن المخططات».

فقالت: «آه... أحقاً؟ هل لذلك الشخص عائلة؟».

قال: «نعم، رويس ماكويلان رجل ممتاز، من أروع الشبان الذين عرفتهم، كما أن حياته لم تكن سهلة، لقد فقد والديه منذ سنوات قليلة في حادث تحطم طائرة، ثم انهار زواجه».

فهتفت كاري، وهي التي تعلم ما هو تحطم القلب: «يا إلهي! ألم تأخذ الأم الطفلة؟ هذا غريب».

فقال والعطف يفيض من عينيه: «يبدو أنها لم ترغب فيها، لا أعرف ما هي القصة الكاملة. ولم يوضح لي رويس الكثير. سيكون عليك أن تعرفي بأمرها، رغم أنها لا بد تكبرك بعدة سنوات، ربما هي في الثلاثين أو الواحدة والثلاثين. انها امرأة فاتنة، لكنها سطحية للغاية. اسمها شارون رولاندز وأبوها هو هيغ رولاندز الذي يرأس شركة ستاند فورد باستونال. الأم روث رولاندز وابنتها تمضيان معظم أوقاتهما في حضور المناسبات الاجتماعية وترين صورهما دوماً في المجلات».

فقالت: «إنني دائمة الانشغال عن قراءة المجلات، لا بد أن افتراق الزوجين قد حطم قلب طفلتهما. كم عمرها؟».

أجابت: «بين السادسة والسابعة».

فقالت: «إذاً فقد تزوجا يافعين؟».

فأوضح: «حسب قول ليز، تقرر زواجهما حينما كانا في المهد».

قالت: «لا اظن أن حياتهما المشتركة قد طالت».

فقال وقد بدا عليه الأسف الصادق لأجل عميله: «لا. لدى رويس مسؤوليات كبرى والتزامات كثيرة، وهكذا تملك شارون السأم».

تساءلت وقد تملكها الذهول: «السأم؟ أنت تعرفها إذن؟ أي نوع من الحياة كانت تريد تلك المرأة؟».

أجاب جايمس: «قابلتها عدة مرات».

سألته: «ما رأيك بها كإنسان».

فأجاب: «سطحية جداً بالنسبة إلى رويس، وليز زوجتي رأت ذلك أيضاً، وهي حكم ممتاز على الناس».

قالت كاري: «نعم. إنها كذلك. لا بد أن يكون قلب تلك المرأة من حجر لكي تحتمل هجر طفلتها».

حدّق جايمس في كوبه وقال: «اكره أن أقول ذلك، ولكن الواقع هو أنها لا تريد للصغيرة أن تتدخل في مسيرتها. أتوقع أن تتزوج مجدداً رغم أن ليز تظن أنها لا يمكن أن تنسى رويس، هذا إذا وجدت شخصاً مثله».

فقالت كاري: «إذا كانت تحبه فسيعودان إلى بعضهما البعض ربما لأجل طفلتهما. لا يمكن أن يكون لدى أي منهما صعوبات مالية كالتي تُحبط الأزواج».

فقال: «المال لا يجلب السعادة يا عزيزتي، وأنا أشكر الله على زواجي في كل يوم».

ابتسمت كاري له بحرارة كعادتها: «أنتما زوجان رائعان يا جايمس، فأنت ولويز الأكثر تسامحاً ومحبة للآخرين. أحبكما وسأحبكما على الدوام».

قالت هذا وهي تبعد عن ذهنها نفسية زوجة أبيها الدنيئة.. جلسا صامتين دقائق عاد بعدها جايمس ليقول:

ـ تعلمين أنني مثل أبيك لم أحتمل فكرة سفرك رغم انني كنت أعرف أنك مضطرة إلى ذلك بدافع مهنتك. لقد تملكني الرعب حين تلقيت تلك المكالمة التليفونية.

وسكت فجأة. فقد عاد حادث اصطدام كاري إلى وعيه وإدراكه.

أرغمت كاري نفسها على الابتسام: «أنا أعلم ذلك، يا جايمس، كان ممكناً أن يكون الحادث أسوأ بكثير».

فقال: «أسوأ بكثير جداً يا عزيزتي. كان فقداني لشقيقتي مصيبة هائلة بحيث لم أعد أستطيع مواجهة أي كارثة تحدث لك، هنالك شيء آخر مُعدّ

لك، يا صغيرتي. شيء رائع. وربما لم يحن وقته».

ابتلعت ريقها: «هذا لن يحدث. الأمر صعب عليّ يا جايمس، صعب جداً».

فمد يده يمسك بيدها: «نعم. نعم. أنا وليز نشعر تماماً بما يعنيه فقدانك لمهنتك لك».

قالت محاولة أن تنظر إلى الأمر من ناحية أخرى: «طبعاً هناك شبان عازفون كثُر على البيانو ولا ضير في أن يحاول الإنسان تدريسهم؟».

فقال مخففاً عنها: «ولديك جمالك... وشخصيتك...».

وسكت فجأة وقد تذكر أنه لطالما تحدث عن هذا الموضوع.

قالت: «ولكنني لست بحاجة إلى تعزية، على كل حال».

ومضت لحظة تصورت أمامها الحادثة بشكل بالغ الوضوح.. الرعب، الظلمة المفاجئة ثم استعادتها إدراكها الكامل عندما استيقظت في المستشفى. فقالت:

ـ أنا بحاجة إلى عمل، يا جايمس. يمكنك أن تساعدني. هل قلت إنك تساعد عميلك في هذا الأمر؟

فأجاب: «كنت على وشك أن أدع «غالبالي» تجري مقابلة مع المتقدمات إلى هذه الوظيفة».

صدرت عن كاري شهقة فزع خفيفة لم تغب عن خالها، فقال: «ليس لدي وقت يا عزيزتي. فالنساء أمهر في هذه الأمور من الرجال».

رفعت حاجبيها: «ولكن ليس الآنسة غالبالي».

فقال: «إنها تتصرف بمسؤولية تامة».

فقالت: «أنا واثقة من ذلك، هل يمكنك أن تزكيني عندها؟».

أحنى جايمس رأسه قائلاً: «هذا لن يعجب أباك أبداً ويمكنني أن أتصور ردة فعله تماماً».

فقالت: «إنه سيعجب «غالبالي»».

أجاب على هذه السخرية: «لكن النتيجة قد لا تكون جيدة أبداً. لا

أريد أن أضعك في وضع قد تكونين فيه وحيدة وكئيبة».

فقالت: «أتعني أكثر تعاسة؟ بإمكاني أن ارعى فتاة صغيرة، قد تكون حساسة اكثر من المعتاد، مثلي، ربما بإمكاني أن أفيدها بشيء فنحن مخلوقتان ظلمتهما الحياة».

عض جايمس شفته وقال: «سيأتي رويس إلى المكتب خلال نصف ساعة. لدينا عمل علينا انجازه، فارتفاع أسعار لحوم البقر يشجع البيع في الممتلكات الريفية.. إنه يفكر في التوسع».

فسألته بشيء من التهكم: «أتراه يفكر في امتلاك البلاد كلها؟».

اوضح خالها: «إننا بحاجة إلى رجال مثل رويس ماكويلان، يا حبيبتي».

فأجابت بلين: «أعرف هذا، ألا يضايقك أن أنتظره؟».

حدّق جايمس فيها طويلاً ثم قال: «هل أنت جادة بالنسبة لهذا الأمر؟».

دعكت الإصبع الصغير في يدها اليمنى بذهن شارد. وقالت: «نعم. لن يمكنني طبعاً أن أدرك مبلغ جديتي إلا بعد أن أرى بعيني سيد مارامبا ولكن بما انك معجب به وتحبه، يبدو أن لا بأس به».

فقال: «إنه كذلك حقاً وهذا لا يعني أنه رجل سهل. إنه في الثلاثينات من عمره، لكن شخصيته غير عادية. لديه هالة وجاذبية يفتقر إليها الرجال».

قالت بجفاء: «لا بد أن ذلك من تأثير المال».

فأومأ قائلاً: «إنه عامل مساعد كما أن انهيار زواجه قد غيره جذرياً، فهو لم يعد مرحاً كالسابق وهو أكثر مناعة من قبل».

فقالت: «يبدو شخصاً غير مريح. هل هو لاذع اللسان وجادّ الطباع؟».

لوى جايمس شفتيه: «ليس إلى حد كريه... إنه ساحر حين يريد، لكن انهيار زواجه خفف نوعاً ما من روحه المرحه».

فقالت: «أظنه أصبح اكثر حذراً من النساء».

فقال: «البالغات الجمال فقط».

وحدّق في وجهها، وقد أسرته، كالعادة، ملامحها الكلاسيكية الجميلة ولونها المتألق وبالأخص شبهها الكبير بأخته المحبوبة كارولين.

أحنت رأسها وهي تقول: «أتعني أنه يبحث عن فتاة عادية الملامح؟».

وكانت هذه الفكرة مقلقة.

فقال: «أظنه يفضلها مقبولة».

ردت بحزم: «سأكون إذن مقبولة الشكل».

وتملكتها ثقة مفاجئة بأن الحياة في مزرعة المواشي وسط البراري ستحل مشكلتها.

عندما دخل رويس من الباب، كانت تجلس مكان موظفة الاستقبال، «ديبرا». أخذ الدم ينبض في أذنيها كضرب الطبول ودارت بها الدنيا.

فقال: «أهذه أنت؟».

وعندما رفعت إليه بصرها قال برقة: «هذا شيء لم أتوقعه على الإطلاق».

انقطعت أنفاسها برهة وعندما استعادت هدوءها قالت موافقة وهي ترى عينيه المتألقتين الممتلئتين بسخرية: «نعم... هذا غريب، هل تريد خدمة؟».

وشعرت بالزهو للهجتها المنضبطة الهادئة.

فأجاب: «أريد مخدومك... جايمس هاليداي».

سألته وهي لا تصدق ما يحدث: «وهل لديك موعد؟».

فأطلق ضحكة قصيرة: «طبعاً لديّ موعد، لا بد أنك جديدة هنا. أنا رويس ماكويلان».

صعقها الذعر، ها قد بدأ العمل لأجل الوظيفة، فبادلته التحديق: «طبعاً، يا سيد ماكويلان، ستعود موظفة الاستقبال بعد دقيقة ولكنني

سأتصل بالمكتب لأجلك».

أشار برأسه نفياً: «هذا غير مهم. سأذهب بنفسي فالسيد هاليداي ينتظرني».

فقالت: «اسمح لي إذن بمرافقتك».

ودارت حول المكتب في اللحظة التي ظهرت فيها ديبرا قادمة من الاتجاه المقابل، وقد حثت خطاها بعد ان ميّزت شخصية العميل، وقالت بصوت مرحب: «صباح الخير يا سيد ماكويلان... أم لعل الوقت عصراً؟».

نظر إلى ساعته قائلاً: «سيكون ذلك بعد دقائق. كيف حالك يا «ديبرا»؟».

فأجابت: «أنا بخير، وأنت؟».

ووقفت المرأة تحدق في وجهه وقد بدا عليها السرور لأنه وقف وتحدث إليها.

بدت على وجهه ابتسامة مدمّرة خاطفة أظهرت اسنانه الناصعة البياض في وجهه الأسمر وقال: «بخير، ومشغول كالعادة. هذه الشابة هنا».

والتفت إلى كاري التي كانت الآن تقف عند كتفه.

ـ سترافقني إلى مكتب السيد هاليداي.

فقالت ديبرا بحرارة وقد تألقت عيناها: «هذا لطف منك يا كاري، كاري هي...».

فقاطعتها كاري بنعومة: «أنا في المكتب لهذا النهار».

لم تكن تريد أن توضح الآن نوع صلتها بجايمس.

وابتسمت ديبرا وهي تلمس خصلات شعرها الناعمة، وقالت: «اسرني رؤيتك، يا سيد ماكويلان».

عندما تابع سيره مع كاري، سألها: «ما هو دورك هنا؟ سبق أن رأيتك في مكان ما وأنا لا أعني مقابلتنا الماضية».

فقالت بلهجة لاذعة نوعاً ما: «أنا لست مشهورة».

فنظر إليها من عليائه، وقال: «هل هذا ما يثير غضبك؟».

فقالت وهي تستمر في سيرها: «أنت مخطىء، صدقني».

فقال: «لا أظن ذلك».

تألقت عيناها قليلاً وقالت: «لا بد أنك تمضي وقتك محاولاً تحليل نفسيات الآخرين».

فقال بشيء من التهكم: «لم أقابل في الواقع امرأة تتصرف مثلك».

رفعت حاجبيها: «أنا واثقة تماماً من أنني لا أفهمك».

فقال: «إذن، سأفسر لك في كلمة بسيطة: عدائية».

ردت من دون تفكير: «يمكنك أن تثير هذه المشاعر في أي كان».

فقال: «أتصوّر أنك كنت خائفة مني».

قالت: «كلام فارغ».

قال ساخراً: «هل هو خوف من الشارع؟».

فقالت: «فكر كما تشاء».

فألقى عليها نظرة جانبية: «هل أنت محامية؟ تبدين أصغر من أن تكوني كذلك، ومع ذلك يمكنني أن أقول إنك تنسجمين مع معظم الناس».

التفتت إليه قائلة بعذوبة: «لست محامية. ولا أعمل في هذه الشركة».

فقال: «لكنك ذات صلة ما بجايمس؟ لقد استنتجت ذلك أخيراً».

ووقف فوقفت معه: «أنا اعلم أن ليس لديه إبن».

وضحك فجأة عندما اتضح له كل شيء.

ـ ثمة شبه كبير بينكما. لا بد أنك ابنة أخته، عازفة البيانو المتألقة.

فكرت في أنها قد حُجمت الآن، لكنها قالت بمرح: «أنت بوليس سرّي، يبدو أن المفتش «بوارو» قد حالفه الحظ أخيراً».

حدّق إليها قائلاً: «ولماذا تتكلمين بحدة؟».

فأجابت: «إنه جزء من طبيعتي».

وصلا الآن إلى آخر الرواق، وكان جايمس هاليداي قد خرج من جناحه متلهفاً لتحية عميله ثم هتف بسرور حقيقي وهو يمد يده مصافحاً: «رويس. يسعدني أن أراك».

تصافح الرجلان واتسعت ابتسامة جايمس لهما هما الاثنين.

ـ أراك قد تعرفت إلى ابنة اختي.

فقال رويس ببطء: «لكننا لم نتعارف بشكل رسمي بعد».

فقال: «اسمح لي من فضلك».

أحس فجأة بشيء بينهما في الجوّ، ومدت كاري يدها تصافحه شاعرة بالخجل من الطريقة التي تصرفت بها.

فسألها: «كاترينا، هل يمكنني أن أدعوك باسمك الصغير؟».

فأجابت: «الكل يدعونني كاري».

وابتسم جايمس وهو يشير إليهما بالدخول.

لم تفهم ما الذي كانت تفعله. لم يتملكها قط مثل هذا الشعور نحو أي رجل آخر. ولم تتوقف بينهما الشرارات الكهربائية حتى بعد أن ترك يدها.. ولم تستطع أن تنظر إليه فقد كانت تحيط به هالة من الحيوية قوية التأثير، حتى أن جايمس شعر بها وهو الرجل الخبير في أمور الدنيا.

* * *

بعد استقرارهم في المكتب علقت بالقول: «كان سروري بالغاً بمعرفتك، يا سيد ماكويلان، ولكن علي أن أخرج الآن».

نظر إليها جايمس بحيرة. لا بد أن شيئاً ما حدث فجعلها تغير رأيها، وقال: «لكنني ظننت، يا قطيطتي...».

أحست كاري بالتسلية في عيني ماكويلان، قطيطة؟ منذ مدة طويلة لم يطلق عليها جايمس هذا اللقب والتفتت تواجه ماكويلان: «الوداع».

لم تمدّ يدها مرة أخرى، لكنها رفعت قسماً كبيراً من شعرها الحريري الكث من ياقتها وهي تتكلم، ملقية برأسها إلى الخلف قليلاً لتعيد توزيعه.

ورأى هو في ذلك حركة إغراء غير عادية. قطيطة؟ بشرتها بلون

البرتقال الرائع، لكن هذه المرأة الشابة لديها مخالب حادة، لاحظ أيضاً أصابع يدها اليمنى منقبضة إلى حد الابيضاض. كانت يداها رائعتي الجمال، أصابع طويلة قوية المظهر، يدا عازفة بيانو.

ووجد نفسه يقول: «كنت آمل أن تبقي لتناول الغداء معنا، فعملي مع جايمس لن يستغرق طويلاً».

وقال جايمس محاولاً تشجيعها: «إننا ذاهبان إلى مطعم «أوسكار»، وسيعجبك حتماً. لن يجدوا صعوبة في إضافة مكان لثلاثة».

كانت تريد أن تذهب مع جايمس وحده، فقالت: «هذا لطف بالغ منك، ولكن...».

فقال جايمس وهو يشير إلى مقعدين مريحين: «أرجو منكما أن تجلسا. كنت أحدث كاري عن حاجتك إلى مربية لريجينا».

قال هذا الأخير وهو يلتفت إلى كاري برقة منتظراً إياها حتى تجلس.

ـ أحقاً؟ لا أظنك تعتقد أن كاري ستهتم بذلك.

رأى جايمس أن الوقت حان لكي تتكلم كاري. وبما أنه كان يعرفها جيداً، استطاع أن يرى مزاجها ينقلب بعنف وهي تقول: «لقد أجهدت نفسي في مهنتي ما جعلني بحاجة إلى تغيير شامل».

بقي رويس ماكويلان هادئاً للحظة، وهو يتساءل عما إذا عانت من نوع من انهيار الأعصاب. وقال لها: «لا أستطيع أن أتصورك مربية أطفال، ماذا تعرفين عن هذا العمل؟».

قالت وعيناها تتألقان: «لا شيء، ولكنني أحب الأطفال».

فقال: «تمكنك من التعامل معهم هو ما يهم».

قال هذا وهو ينظر إلى قوامها الرشيق في ثوب صيفي مؤلف من تنورة وبلوزة، أبيض منقط بالأزرق.

كانت تنورتها تكشف عن ساقيها الرائعتي الجمال. وبشرتها نقية مقارنة مع ذوات الشعر الأحمر بالرغم من أنها تعيش في مناخ استوائي.

سئمت كاري تفحصه لها وهو يجلس هادئاً فردت بحدة: «ومن قال

إنني لا أستطيع؟ لقد نجحت مع الأولاد الموهوبين، دربتهم، وأعطيتهم دروساً، وكنت حريصة على تعليمهم الانضباط».

ردّ بلهجة واقعية: «ريجينا طفلة تحب أن تحصل على ما تريد. لا أدري ما الذي أخبرك جايمس لكن أمها تركتها لي وحيدة وريجينا ليست فقط مهجورة بل مستوحشة. لقد وجدت صعوبة في مواجهة وضعها».

فكرت كاري بصمت أن تلك الفتاة مثلها فقد تُركت هي أيضاً في وقت مبكر لتواجه الحياة.

قالت بهدوء: «لقد عشت من دون أم، وكانت لدي زوجة أب».

نسألها بصراحة: «ألا تحبينها؟».

هزت رأسها: «لا فائدة من الحديث عن ذلك».

لم تشأ أن يتمادى هذا الرجل في إذلالها فهي لم تعجبه. فما الذي سيجعله يستخدمها؟ وهمّتْ بالنهوض من مكانها قائلة: «كانت مجرد فكرة خطرت لي، فتصرفت بوحيها. وأنا أود أن أساعد شخصاً ما».

أو بالأحرى أن أساعد نفسي على العودة إلى الحياة كما أكملت بصمت. ثم أضافت: «أنا واثقة من أن خالي جايمس سيعثر لك على مربية ترضيك، يا سيد ماكويلان».

وانتصبت واقفة برشاقة: «أنا مضطرة لعدم قبول دعوتك الرقيقة للغداء فلديّ موعد بعد الظهر مع شخص في الكونسرفاتوار».

وكان الكذب سهلاً عليها.

وقف هو بدوره وقد أظلمت ملامحه قليلاً: «هذا مؤسف، كنت راغباً في التعرف إليك عن كثب بدلاً من تبادل هذه الكلمات المبتورة. كان جايمس يتحدث عنك باستمرار. لقد تذكرت لتوي أين رأيتك».

والتفت إلى جايمس: «أتذكر صورة تلك الفتاة الجميلة التي كنت تضعها على مكتبك في إطار فضي أثري».

فأشرق وجه جايمس: «إنها صورة كاري طبعاً. لقد أخذتها ليز إلى البيت لأنها كانت شغوفاً بها».

نظرت كاري إلى رويس ماكويلان بدهشة: «كنت في العاشرة حينذاك».

فأردف: «لم تتغيري على الإطلاق».

فقالت: «بل تغيرت».

نعم، حياتي تتلاشى، كما أخذت كاري تفكر وقد أذهلتها قدرتها على إخفاء ذلك. عليها أن تهرب من هذا الرجل.

تكلم جايمس بصوته الساحر محاولا ترطيب الجو المشحون.

- إن قوة ملاحظتك ممتازة، يا رويس.

فأجاب هذا الأخير: «لها وجه لا يمكن أن يُنسى».

ابتسم جايمس لابنة اخته: «كاري صورة عن أمها، أختي العزيزة كارولين، وهذا يشعرني بأنها دوماً موجودة».

ومدّ ذراعه يحيط بها خصر كاري ويجذبها إليه.

فتمتمت وهي تدس وجهها في كتفه: «أحبك. والآن، عليّ أن أذهب فاستمتع بغدائك».

قال رويس: «وهل أفهم أنك سحبت ترشيحك للوظيفة؟».

مجدداً، اكتسحها سحر رويس ماكويلان، وعيناه السوداوان المتألقتان. فأجابت برزانة: «لا أظنني أروقك».

فسألها: «أتراني عبرت عن ذلك؟».

فأجابت: «أعتقد نعم. فثمة طرق أخرى غير الكلام».

رفع حاجبيه: «أحقاً؟ آسف لاعتقادك هذا. إذا كنت جادة، يمكننا أن نناقش الأمر مرة أخرى إلا إذا كنت ترغبين بالخروج بسرعة».

من الواضح أنه لم يصدق عذرها.

سأله جايمس، شاعراً بأن شيئاً ما يحدث من دون أن يفهمه: «متى ستعود إلى موطنك، يا رويس؟».

فأجاب: «غداً».

سمرّتها نظراته وكأنها التصقت بالجدار. وأخيراً تمكنت من القول:

«أظنك تريد امرأة مختلفة جداً عني لهذه الوظيفة».

شعرت فجأة باللهفة إلى الهروب من هذا الوضع الخطر. يمكن لهذا الرجل أن يغيّر حياتها وكانت تعرف أن هذا التغيير لن يكون للأفضل وهي ليست من الغباء بحيث لا يخطر هذا في بالها، رغم أن ردة فعلها كانت مضاعفة وتأثيره الطاغي كان مدمراً، فلمسة يده عرضتها للخطر بشكل ما ولهذا الرجل زوجة سابقة لم تنسه بعد وهي أم لطفلته.

قبّلت خالها على وجنته قائلة: «إلى اللقاء يا جايمس. بلّغ حبي للين».

التفتت ناحية رويس: «أتساءل كيف سأتمكن من الخروج بسيارتي من الموقف. أما زالت سيارتك هناك؟».

نظر إليها يستفزها: «لا ادري إذا كان عليّ أن أدعك تقودين».

فقال جايمس متذمراً: «اكون شاكراً لو أشركتماني في الموضوع».

أوضحت كاري: «لقد التقينا في الطريق. فقد ركنّا سيارتينا في الشارع الجانبي».

وأردف رويس برقة: «يمكنني أن آتي معك، إذا كنت قلقة لأخرج سيارتك بنفسي».

فقالت: «ربما سأدعك لهذه المرة فقط، فأنا لا أريد أن أخدش سيارتك الباهظة».

لقد افقدها الحادث الكثير من ثقتها بنفسها.

وأجابها: «إنها ليست سيارتي بل هي لصديق».

فقالت: «آه... أرجوك أن تفعل فلدي مواهب كثيرة عدا المهارة في توقيف السيارات».

أمسك رويس بذراعها قائلاً لجايمس: «لن أغيب أكثر من خمس دقائق».

فأجابه جايمس: «كما تشاء».

كان يقوّم هذا الوضع باهتمام ولكنه قرر أن يدع القدر يلعب لعبته.

وفي الشارع، سألها رويس: «هل أنت حقاً على موعد؟».

فأجابت: «عجباً هل تشك في كلامي؟».

لو لم يكن ممسكاً بها لهربت.

فأجاب: «نعم».

تساءل عما عسى أن يشعر به إذا ما عانقها ولكن من الخطر أن يفكر بفتاة صغيرة مثلها. وتذكر عندما أخبره جايمس عن حفلة ميلاد ابنة اخته الحادي والعشرين، منذ عام أو أكثر. ما أسرع انقضاء الأيام!

وعندما وصلا إلى الرصيف المحاذي للموقف، قال لها: «ابقي هنا وأعطيني المفاتيح».

فقالت: «عليك أن تحاذر».

لم تستطع أن تفهم لماذا تحاول استفزازه وأغمضت عينيها عندما تلامست أصابعهما وهي تناوله المفاتيح. لم يكترث لتعليقها، بل دخل السيارة الصغيرة، وأرجع مقعد السائق قدر الإمكان، وبعد لحظات كانت السيارة بانتظارها.

قالت دون أن تتمكن من حذف بعض التهكم من صوتها: «كم أنت لطيف».

ووقفت مبتعدة فيما كان يحاول الخروج من سيارتها، فقال: «بكل سرور، آنسة راسل».

شعرت وهي تدخل السيارة بأنها تغرق في دوامة.

ـ من المؤكد أنني أصلح للعمل لديك.

فقال ضاحكا بهدوء: «لا أظن ذلك، ومع هذا لا أدري لماذا تريد فتاة رائعة الجمال مثلك وموهوبة، أن تدفن نفسها في البراري، ستكونين منعزلة معظم الوقت».

تحدته بنظراتها: «أعلم هذا».

فقال برقة فائقة: «ما هو السبب إذن؟ هل افترقت عن حبيب؟ هل غيرت رأيك بمهنتك العظيمة؟».

فقالت وهي تصرّ على أسنانها: «مهنتي قد انهارت، يا سيد ماكويلان، شكراً لمساعدتك لي على الخروج من الموقف. وطبعاً لو أنك لم تركن سيارتك خلفي، لما كان عليك أن تتضايق مني إلى هذا الحد».

اهتز جسمه القوي الفارع وقال: «كاري... اسمعي».

قالت وهي تنطلق بالسيارة، ملوحة له بيدها: «حاذر أنت».

انطلقت وهي تراقبه عبر مرآة السيارة، واقفاً في منتصف الشارع الهادىء ينظر في أثرها. رباه، لا بد أنه ظنها مجنونة. لم يكن لديها أي موعد في الكونسرڤاتوار.

لم تستطع احتمال فكرة العودة إلى البيت. فقد ساء سلوك غليندا نحوها هذه الأيام، وفكرت في أن غليندا كانت تأمل في التخلص منها، لكن حادث السيارة غيّر ذلك.

وتدفقت الدموع من عيني كاري، لكنها غالبتها بعنف، لا فائدة من البكاء فما حصل قد حصل، وكما قال خالها جايمس، عليها أن تلملم شتات نفسها، وتجد وسيلة تدفعها للاستمرار.

***

٢ ـ نحو الهدف

عندما عاد رويس إلى مكتب جايمس تطرق إلى الموضوع مباشرة. فقال: «لقد صعقت لما قالته ابنة اختك لتوّها بأن مهنتها قد انهارت، ما الذي حدث لها؟ لم يسبق أن ذكرت لي شيئاً».

بادره جايمس بالاعتذار، قائلاً: «كان عليّ أن أخبرك بالطبع، ولكن، صدقني يا رويس، لم أستطع أن أتحدث عن هذا الأمر فقد كان حزن كاري بالغاً. لقد تملكنا الحزن لمدة عام تقريباً.. وقع الحادث في نفس اليوم الذي تلقت فيه خبر قبولها في «أكاديميه جوليارد» في نيويورك. لم يكن الحادث مروعاً فلقد اصطدمت سيارة صديقها، بتاكسي.

«أصيبت كاري بكسور في ضلعين وبعض الخدوش، لكن الكسر في إصبع يدها الصغير كان سيئاً. لقد عالجه اختصاصي العظام بشكل رائع، فهي تستطيع استعماله في أغلب الأحيان.. وما زالت عازفة ناجحة. لكنه أنذرنا بأن ذلك الأصبع لن يستطيع مواجهة الحفلات الموسيقية الصاخبة وأن إصبعها سيخذلها ربما أثناء العزف. لا أستطيع أن أصف لك شعورنا كما أن كاري تغيرت نوعاً ما عن السابق».

فقال رويس: «أتعني بالنسبة إلى علاقتها مع زوجة أبيها؟».

كان جايمس يثق بهذا الرجل، لهذا أومأ بتعاسة: «كانت أختي، مثل كاري، رائعة الجمال. كان جمالها أخاذاً في الواقع، عندما ماتت... في حادث مأساوي، حين كانت كاري في الثالثة، كاد زوجها يجن. لم تكن

ابني وبين جيف، زوجها، صداقة حميمة، وهكذا لم أستطع أن أساعده ولكن أظن أن يأسه دفعه إلى زواج آخر عاجل. زوجته الحالية، غليندا، كانت سكرتيرته. واتضح أنها أحبته على الدوام».

فقال رويس بهدوء: «وهكذا سعت لاتمام الزفاف».

فابتلع جايمس ريقه: «نعم. وسرعان ما ولدت ميليسا. أما كاري فلم تحبها زوجة أبيها بسبب شغف أبوها بها. غليندا تتوخى الحذر دوماً عندما يكون الأب موجوداً، لكن علاقتها بكاري وفقاً لمنظاري أنا وزوجتي، لم تتضمن الحب قط ولا الحنان أو حتى الاهتمام. كانت كاري أذكى أفراد الأسرة، وكانت أجمل طفلة يمكن تصورها. ومنذ البداية كانت ماهرة في العزف على البيانو وهذا ما جعلني أصرّ على أن تتعلم إحياءً لذكرى والدتها التي كانت عازفة ممتازة كما كانت أمي، إنها موهبة متوارثة في الأسرة».

فقال رويس: «وهكذا لم تكن زوجة الأب تغار فقط من اهتمام زوجها بطفلته الأولى، وإنما تغار من مواهبها».

فقال جايمس: «نعم، وبكل أسف. فلطالما كانت كاري تلميذة موهوبة في المدرسة... لقد تبينت غليندا ذلك في مباراة شاركت بها الفتاتان معاً ولم يحالف الحظ ميليسا. كان بإمكان الفتاتين أن تكونا صديقتين حميمتين لكن غليندا لم تشأ ذلك».

فسأله رويس: «ألم يفعل الأب شيئاً لمنع ذلك؟».

فهز جايمس رأسه: «غليندا ماهرة في التظاهر، فهي تفتخر علناً بكاري وبإنجازاتها، فيما تتحرق غيظاً في الداخل، لقد ابتهجت لفكرة ذهاب كاري إلى «اكاديمية جوليارد» في نيويورك لكي تتخلص منها ولكنّ الأمور ساءت على نحو مفاجىء».

فقال رويس بندم: «آسف».

فقال جايمس: «كنت سأخبرك، لولا انشغالك بأمورك الخاصة».

فقال رويس: «ابنة اختك تعسة جداً».

بدا ذلك جلياً، فأجاب: «إنها تناضل للتغلب على ذلك، ولكنها لم

تلمس البيانو منذ الحادث».

فسأله: «وما الذي تفعله الآن؟ التعليم؟ سيكون هذا صعباً جداً في حالتها».

فأجاب: «جداً، فكل تدريبها كان مرتكزاً على العزف».

فقال رويس: «لا أظنها تصلح لتكون مربية لأنها تكتنز مشاعر قوية وعليها أن تتغلب أولاً على مصيبتها بينما أنا أبحث عن شابة هادئة قديرة، لا يتملكها الحزن والقلق لابتعادها عن حياة المدن والأصدقاء».

فقال جايمس: «أوافقك على أن كاري لا تصلح لمهنة المربية ولكنها أوضحت لي أنها تريد أن تبتعد عن عالم الموسيقى لبعض الوقت».

سأله رويس: «وإلى متى؟».

فأجاب: «من يدري؟ أظن حتى تتغلّب على مشاعر الألم ومرارة الخيبة، وكأنما ذلك حدث بالأمس. إنها مصيبة في شيء واحد وهو أنها رائعة مع الأطفال أو كانت كذلك إلى أن تغيّر عالمها.. كانت متألقة بالغة الحيوية. اما اكثر ما يحزنني فهو خسارتها لثقتها بنفسها».

فقال رويس: «وهل جعلها الحادث خائفة؟».

فأجاب جايمس: «نعم. من أشياء معينة، لن يرضى أباها أن تغادر البيت، لقد حاولت ذلك من قبل.. لكنها كانت تعتمد في نفقات دراستها الباهظة على أبيها. وهو لن يشكرني على تدخلي بالموضوع. وكما سبق أن قلت، نحن غير منسجمين. لكن كاري أخبرتني اليوم بأنها مصممة على الانتقال من البيت».

لم يفكر رويس في ذلك لحظة قبل أن يقول: «يبدو هذا حلاً واضحاً، إلى أين ستذهب؟».

أجاب جايمس: «إلى أي مكان تريده. سنساعدها، أنا وليز. كاري هي حب حياتنا، فهي تملأنا بهجة ولكننا ستضطر لمواجهة أبيها فهو متسلّط بطبيعته».

وبدا من حديث جايمس كراهيته الكامنة للأب.

فقال رويس: «ولكنه فقد سيطرته تلك في السنين الماضية».

فأومأ جايمس: «كل ذلك قد مضى.. آه! كان بإمكان أي امرأة أن تكون أماً لكاري افضل من غليندا، ولميليسا أيضاً رغم شغف غليندا بها. إنهم يمثلون واجهة متماسكة ولكنهم أسرة متخلخلة في الحقيقة».

فقال رويس: «إذاً من الأفضل لكاري أن تغادر المنزل».

وفي تلك اللحظة، قرر رويس ماكويلان أن يتصرف.

***

أمضت كاري ساعة أخرى بين المتاجر من دون أن تشتري شيئاً. لم يعجبها أي شيء. كانت فقط تؤجل لحظة عودتها إلى البيت حيث تتحطم الأرواح من الناحيتين، غليندا وميليسا من ناحية وهي وأبوها من ناحية أخرى. كانت تعلم أن أباها يستمتع بصحبتها اكثر من صحبة أختها، بل إنه لم يجد حرجاً في إظهار ذلك.. لقد تسببت لامبالاته بمشاكل جمّة إذ أبعدها تفضيله إياها عن شقيقتها. وقد سبّب ذلك الكثير من الألم، للجانبين.

والآن، بعد أن أصبحت كاري امرأة، لم تجد غليندا عناءً في كرهها واليوم بعد أن ألغت سفرها إلى نيويورك لمتابعة دراستها، بدأت غليندا تظهر كرهها تدريجياً خصوصاً عندما لا يكون أبوها موجوداً. كانت تعامل معها بعلياء مدركة أن كاري لن تشكوها قط لأبيها.

بينما كانت كاري تُدخل سيارتها المرآب، أخذت تتأمل بيتهم الجميل القائم على ضفاف النهر، هذا المنزل الناطق بنفوذ أبيها فالديكور الداخلي كله كان من عمل غليندا.

الغرف الفسيحة تعج بالأثاث وبالتحف فالمال عندهم برأي كاري أكثر مما ينبغي. فالبيانو الرائع الذي اشتراه أبوها لها عندما بلغت الحادية عشرة قد أبعد من غرفة الجلوس إلى الاستديو المجهز بجدران عازلة للصوت، لقد أقنعت غليندا أباها بصواب هذه الفكرة.. ولم يكن هذا الأخير بحاجة للاقتناع وهو الذي لا يطيق سماع دندناتها الموسيقية مع أنه

يحبها هي كثيراً ويزهو بنبوغها. لقد اقتنعت منذ وقت طويل باستحالة محبته للموسيقى ولم تعد تتساءل عما جمع بين أمها وأبيها. وكان خالها جايمس يفسر ذلك بالجاذبية الجسدية فلطالما كان «جيف» وسيماً وبالغ الحيوية وعدا ذلك برأيه لم يكن يجمعهما شيء بخلاف علاقته مع غليندا فلديهما قواسم مشتركة متعددة من الذوق والهواية والاهتمامات المشتركة. لكن هذا لم يمنع أباها من أن يصرح أحياناً بمكانة «كارولين» الفريدة في حياته.. كاري تظن أنه ما زال يتعذب من خسارته المفاجئة لها. كان موتها نهاية العهد الذهبي في حياته؛ ذلك العهد الذي لم يبدأ قط بالنسبة إليها لأنها عاشت محرومة من الحنان. لا أحد يمكنه أن يعيش بدون أم. وما انغماسها بدراستها وتصميمها على النجاح كعازفة بيانو إلا نتيجة انعدام الروابط العاطفية في البيت. لقد حمتها الموسيقى من كراهية غليندا لها، وأفرغت فيها كل ما يعتمر به قلبها من حنين، وهي الآن تشعر بمبلغ خسارتها، وبأنها تحت رحمة غليندا إلا إذا انتقلت من البيت.

دخلت البيت من الباب الخلفي لتهرب منه إلى غرفتها. إنها لا تستطيع أن تدع هذا الشعور بالعزلة يتملكها، كان أمراً مأساوياً أن لا تقدم إليها زوجة أبيها وأختها دعماً معنوياً ومواساة في ظروفها. لم تكن وحدها فلديها جايمس وليز وأصدقاء كُثُر ولكن ما زاد في آلامها أن غالبية أصدقائها كانوا من الموسيقيين.

لقد استمرت مهنتهم فيما تداعت مهنتها.

ثمة شخص في غرفتها، عرفت هويته قبل أن تفتح بابها. كانت ميليسا تقف أمام مرآة الخزانة مستعرضة أحد أثواب كاري الخاصة بالسهرة وهو الثوب الذي لبسته في حفلتها الموسيقية الأخيرة.. وكان لونه برتقالياً، وهو لون يناسب كاري تماماً.

سألتها كاري محاولة أن لا تظهر أي ضيق: «مرحباً. ماذا تفعلين؟».

اعتادت ميليسا أن تستعير أشياءها مع أنها تملك الكثير من الأثواب التي ترفض إعارتها لها، مهما كانت الظروف.

أجابت ميليسا من دون مبالاة: «لم نتوقع عودتك بهذه السرعة. أحب أن أرتدي هذا الثوب السبت القادم. هل يمكنني ذلك؟».

ابتسمت كاري وقالت لمليسا الصغيرة الحجم: «قياسه لا يناسبك، يا ميليسا، فالتنورة طويلة جداً. قياسنا مختلف وكذلك طرازه لا يلائمك. أنا أحب شكلك كثيراً في اللون الأحمر، فهو يمنحك حياة».

قالت هذا بشكل طبيعي لكنه أغضب ميليسا، فقالت باستياء: «هكذا إذن! استمري في تذكيري بأنني بحاجة إلى ما يمنحني حيوية».

لم تزد كاري الموقف سوءاً، بل قالت متوسلة: «كلنا نرتدي الألوان التي تلائمنا. فلا تتصرفي بهذا الشكل من دون سبب».

استدارت ميليسا تلقي بالثوب على السرير قائلة: «ولكنها ليست حالك فأنت جميلة وقد حصلت على تعاطف أبي بسبب الحادث. ومن قال إنك كنت ستصبحين عازفة بيانو شهيرة على كل حال؟ وحتى لو وصلت إلى ذلك المركز، لربما وجدت كثيرين أفضل منك».

فقالت كاري: «حسناً، أنا لست ذاهبة يا ميليسا، فاطمئني. كما أنني لا أتذمر ولا أشكو، فلا تحاولي إلصاق التهمة بي».

فقالت ميليسا وقد بدا الحنق على وجهها: «لماذا؟ هل ستخبرين أبي؟».

وارتفع صوتها. كانت ميليسا فتاة جميلة ذات شعر أسود وعينين عسليتين.. إنها ممتلئة قليلاً. التعبير الذي بدا على وجهها جعل كاري ترهب في السكوت ولكنها أردفت بهدوء: «يمكننا أن نتفاهم، أليس كذلك؟ فنحن شقيقتان».

فصرخت ميليسا ووجهها يلتهب غيرة: «شقيقتان؟ وهل يفترض بنا أن نحب بعضنا بعضاً؟».

تحدتها ويداها على وركيها فاستدارت كاري وهي تلتقط ثوبها وتعيده إلى الخزانة: «هذا يحدث في معظم العائلات».

فقالت ميليسا: «ولكنك تفوقينا بكثير، يا كاري، فأنت أمهر مني ومن

أمي التي تقول إن وجودك بيننا قد أفسد حياتنا».

رغم أن ما تفوهت به ميليسا جعلها تشعر بالغثيان، إلا أنها واجهت اختها بهدوء قائلة: «وكيف تريدين مني أن أتصرف، يا ميليسا؟ كنت طفلة في الثالثة عندما ماتت أمي، لم أشأ أن أتدخل مع أحد. بل كنت متلهفة إلى أن أكون مع أمي وعليك أن تفكري في ذلك».

انقلب وجه ميليسا الجميل وهي تقول: «أوه، كارولين الرائعة الجميلة المعبودة تلك...».

ردت كاري عليها بمثل لهجتها الحادة: «والتي ماتت شابة صغيرة.. شكراً يا ميليسا، ألا يخفف هذا من غيرتك قليلاً؟ كان لديها حياتها أمامها».

فصرخت ميليسا وكأنما أصيبت بالهستريا: «ولكن ألم تفكري قط في أنها أروع وأجمل في موتها.. هذا ما تقوله أمي».

أجابت كاري شاعرة بطبعها يفور: «أمك إذن مسؤولة عن أشياء كثيرة».

فقالت ميليسا بإصرار وهي تشدّ خصلات شعرها: «أنت تكرهينها، أليس كذلك؟ وتكرهينني؟».

وضعت كاري يدها على ذراع أختها، مسرورة لأن هذه لم تنفضها عنها، وقالت: «هذا ليس عدلاً، يا ميليسا. إنها أفكار سخيفة زرعتها غليندا في رأسك. يؤلمني جداً أن أسمعك تقولين ذلك. قد لا ننسجم أنا وأمك أبداً ولكنني لا أريد أن أخسرك فنحن من دم واحد».

شعرت بميليسا ترتجف.

وانبعث صوت من الباب: «كيف تجرؤين؟».

كانت غليندا واقفة هناك على عتبة الباب، مرتدية ملابس فاخرة، وهي ترتجف من الغضب، وهي تتابع قولها: «على حد علمي، أنا زوجة أبيك وقد رعيتك واعتنيت بك جيداً طوال هذه السنوات، أيتها الجاحدة، وأنت الآن تؤلبين ميليسا ضدي؟».

فصرخت ميليسا باكية: «أرجوك يا أمي، لا تبدئي».

فقالت غليندا لكاري: «انظري كيف كدرتها».

تنفست كاري بعمق، وقالت: «لماذا لا تسكتين الآن، يا غليندا؟ يكفي ما أعانيه».

فقالت غليندا وقد اسودت ملامحها: «هل تريدين الشفقة؟».

أجابت كاري باختصار: «بل التفهم».

فقالت غليندا: «تظنين أنك حالة استثنائية. لست الوحيدة في العالم التي تصيبها إعاقة. لديك الكثير من المزايا الأخرى».

وإذا بميليسا تنفجر قائلة بشكل غير متوقع: «لم يكن لديك قط موهبة كموهبة كاري، كما أنني لم اسمعها قط تفتخر بنفسها».

شحب وجه غليندا رغم تبرجها الكامل، ونظرت إلى ابنتها وكأنها لم تفهم ما قالته: «عفواً يا ميليسا، ولكن ألم أسمعك على الدوام تتذمرين من فطرسة كاري».

ازداد تصرف ميليسا غرابة، وقالت: «ربما كنت غيوراً منها، فأنا أدفع أي شيء لكي أحظى بقليل مما لديها من المجد والجمال ولكي أرى عيني أبي تتألقان لرؤيتي وأشعر بزهوه بي. أدفع أي شيء لكي اكون فتاة أبي المدللة».

لم تستطع ميليسا احتمال الموقف فانفجرت بالبكاء، وحاولت أن تهرب من الغرفة لكن غليندا منعتها بقوة، ممسكة بمعصميها: «يا حبيبتي، إياك أن تشعري بالمذلة. إن أباك يعشقك».

فقالت: «بوجود كاري، أنا أثير الشفقة فأنا لم أستطع حتى أن احصل على قبول من الجامعة.. لقد خاب أمل أبي بي».

بلغ التأثر غايته في نفس كاري، فقالت والدموع تلمع من عينها: «أواه، يا ميليسا! لا تقولي هذا أرجوك. ما أهمية الذهاب إلى الجامعة؟ ستجدين شيئاً ما تحبين القيام به».

فعادت ميليسا تصيح: «أخبريني ما هو إذن، لا يمكنني أن أفعل شيئاً.

أنا غبية، والجميع يعلم ذلك».

فقالت كاري: «أنت لم تبدئي البحث بنفسك. عليك أن تحاولي يا ميليسا، أنت أفضل طاهية في المنزل».

فقالت غليندا وقد جُرحت لكلمات كاري وهي التي تزهو بمهارتها في الطبخ: «ماذا قلت؟».

فأجابت كاري: «لماذا لا تتعلم الطهو؟ إن لديها طريقة مبتكرة دوماً في إعداد أصناف جديدة من الطعام».

بدت المفاجأة على غليندا تماماً ورغم عجزها عن الإنكار أن ميليسا ماهرة في هذا المجال علقت: «طاهية؟ ما هذا الكلام الفارغ؟ بإمكان ميليسا أن تصنع وجبة ممتازة... ولكنني لا أريدها أن تمضي وقتها متسكعة في المطاعم».

فقالت كاري: «عليها أن تتعلم اولاً».

وبدا الذهول على ميليسا: «ولماذا لا؟».

اهتزت غليندا اشمئزازاً: «آه، من فضلك! أبوك رجل ثري يا ميليسا، ولهذا لست مضطرة إلى العمل أبداً. يمكنك أن تساعديني».

فقالت ميليسا: «وكيف؟ أقود بك السيارة طوال النهار؟».

ونظرت إلى كاري وابتسمت لها ثم قالت: «أتظنين أن بإمكاني أن أصبح طاهية حقيقية».

فقالت كاري: «طبعاً أظن ذلك، ويدهشني كثيراً أنك لم تفكري في ذلك من قبل».

بدا العجز على غليندا وقالت: «انظري إلي يا كاري، لا أريد منك أن تضعي حماقات في ذهن ميليسا».

فقالت ميليسا وقد بدا عليها الآن هدوء غريب: «إنها فكرة جذابة».

فرفعت غليندا رأسها: «يا إلهي! أريد منك يا كاري أن تخرجي من هذا البيت، ولا يهمني كيف وماذا تقولين لأبيك... أريد منك فقط أن تخرجي. لقد بقيت مدة طويلة وأنت تدمرين عائلتي».

... حتى ميليسا أجفلت: «ماما... لا تقولي هذا!».

فنظرت كاري إلى ميليسا تطمئنها: «لابأس في ذلك، إذا ما رحلت، فسيكون هذا أفضل من عدة نواح».

فقالت ميليسا: «ليس بهذا الشكل. هذا رهيب».

فقالت الأم تحذرها وعلى وجهها غضب جامح: «ابقي بعيدة عن هذا الأمر، يا ميليسا، أتظنين أن الأمور ستكون أفضل لمجرد أن كاري اقترحت عليك القيام بعمل ما؟ منذ سنوات وعلاقتكما مع بعضكما البعض، شائكة للغاية، أتريدين الاستئثار بانتباه أبيك؟ ستحصلين على أكثر من هذا إذا رحلت كاري».

وبدا الارتباك على ميليسا: «حسناً، ربما...».

فقاطعتها كاري: «إذاً الأمر حُسم. سأتحدث إلى أبي ثم أبدأ بالبحث عن مكان لي».

فقالت غليندا بلهجة أكثر رقة وبدت ملامحها مبتهجة تقريباً: «أنا واثقة من أنك ستكونين أسعد بكثير في بيتك الخاص يا كاري، يجب أن تدركي كيف كنت أحاول... أحاول أن...».

وسكتت لسماعها رنين جرس الباب الخارجي، فقالت وقد تألق وجهها: «لا بد أنه بائع الزهور. اتركي أختك الآن، يا ميليسا، وتعالي معي إلى أسفل. أنا واثقة من أن لدى كاري الكثير لتفكر فيه».

شعرت كاري بالحزن إلى أبعد الحدود، واغرورقت عيناها بدموع ساخنة ولكنها غالبتها، لقد بكت بما فيه الكفاية على وسادتها، وقد حان الوقت للارتفاع فوق ذلك. ولكن بعد دقائق، اندفعت ميليسا عائدة إليها وقد بدت عليها الدهشة والابتهاج البالغ: «كاري، هناك رجل يريد أن يراك... أجمل رجل رأيته في حياتي».

فسألتها كاري: «من هو؟».

وأشاحت بوجهها تمسح عينيها من الدموع. أجابت ميليسا: «يقول إن اسمه رويس ماكويلان. لديه صوت رائع عميق».

فقالت لها كاري: «هل تمزحين؟».

ولكنها كانت تعلم أنها لا تمزح.. عادت ميليسا تقول: «لقد عرضت عليه أمي شراباً لكنه لم يرغب فيه، إنهما في غرفة الجلوس يتحدثان ويبدو أن أمي سعيدة به فهي تعشق الرجل الأسمر الطويل القامة والوسيم».

فقالت كاري: «سأنزل بعد لحظة».

واندفعت إلى الحمام تسرّح شعرها، لتتفحص آثار الدموع في عينيها.

قالت لها ميليسا التي تبعتها: «ليس عليك أن تلمسي شيئاً. فأنت كاملة، لديك بشرة رائعة لا أملك مثلها وهذا ليس عدلاً».

فقالت كاري: «كلنا نعلم أن بشرتك جيدة تماماً، يا ميليسا، وعينيك العسليتين واسعتان كما انني أحب طبيعة شعرك الأجعد».

فقالت ميليسا: «خصلات الشعر الجعداء ليست مهمة».

عندما انضمت إليهما، كانت غليندا ورويس ماكويلان، جالسيْن في غرفة الجلوس يتجاذبان على ما يبدو أطراف الحديث.

وبدون جهد، اصطنعت غليندا صوتاً محباً وهي تقول: «آه، ها أنت يا عزيزتي، لديك زائر».

نهض رويس ماكويلان بطوله الفارع ووسامته المميزة، ثم منحها تلك الابتسامة الهادئة الجذابة، وهو يقول: «كاترينا. ما أروع أن أراك! حدث أن كنت ماراً في المنطقة؟».

فقالت: «يسعدني مجيئك».

وأعجبت بصوتها الذي كان يطفح سروراً.

فقال: «سأستقل الطائرة غداً إلى موطني. وفكرت في أننا قد نذهب معاً الليلة لتناول العشاء إذا لم تكوني مشغولة».

فأجابت: «بل هذا يسرني جداً».

يا له من فارس غير متوقع!

تقدم إليها مباشرة، وأمسك بيدها ثم حدق في وجهها قائلاً: «سأراك الليلة إذاً».

فقالت: «هذا رائع، وأنا أتطلع إلى ذلك بشوق. في أي ساعة؟».

وكانت على وشك أن تتوسل إليه أن يأخذها معه.

فنظر إلى ساعته: «إذا أمكنك أن تكوني جاهزة في السابعة؟».

قالت بابتسامة سريعة: «يناسبني تماماً، لن أتأخر».

فقال: «سأمر بك».

ثم التفت إلى غليندا التي كانت تنظر إليهما مفتونة. وقال: «أنا مسرور بالتعرف إليك، يا سيدة راسل. وأنت أيضاً يا ميليسا».

ومنحها ابتسامة ربما ستلازمها بقية حياتها وتابع يقول: «لقد حدثتني كاترينا عنكما. آسف لاضطراري إلى الخروج الآن ولكن عليّ أن أرى صديقاً قبل أن أعود إلى الفندق».

وقفت غليندا وهي تنظر إلى كاري وكأنها عزيزة عليها للغاية، وقالت: «من المؤسف جداً أن لا تتعرف على زوجي الذي سيتأخر في العمل الليلة، وأنت تعلم ما هو العمل الليلي».

فقال: «اكثر انشغالاتي هي في الصباح، فأنا تاجر مواشي، يا سيدة راسل، وموطني هو «نورث كوينزلاند».

فقالت: «كم هذا مثير!».

كانت غليندا تتفحصه بإمعان، وهي تتساءل كيف تمكنت كاري من العثور على هذه الطريدة.

وقال رويس وهو يشرف بقامته الفارعة على غليندا القصيرة: «إنها بقعة رائعة من العالم، تقع شمال كابريكورن. والآن أتحبين أن ترافقيني إلى سيارتي يا كاترينا؟».

ابتسمت له فبادلها الابتسام ثم قال للمرأتين المتسمرتين أي غليند وميليسا: «إلى اللقاء إذن. واثق من أننا سنلتقي ثانيةً».

ومنحهما ابتسامة ساحرة.

فبادرت ميليسا ابنة التاسعة عشرة بالقول: «نرجو ذلك».

* * *

سارا بصمت في الممر الذي تحده أشجار النخيل وشجيرات الورد المعطرّة.

سألها رويس: «هل كنت تبكين؟».

أجابت: «كلا».

ولكنها كانت تعلم أن صوتها متوتر.

فقال: «أختك لا تشبهك أبداً».

فقالت: «هذا ليس مدهشاً، لأنهم يقولون إنني صورة عن أمي».

قال: «لا بد أنها كانت جميلة جداً».

فأجابت ببساطة: «نعم».

قال بشيء من التجهم: «يمكنني أن أرى جيداً أن زوجة أبيك لا تحبك».

التفتت إليه بدهشة فقد كانت غليندا في أحسن حالاتها أمامه، وسألته: «ألم ترّحب بك بما يكفي؟».

فأجاب: «بل فعلت وفي الواقع كانت لطيفة للغاية، لكنني لاحظت شيئاً ما في عينيها».

ثم قال بعد دقيقة: «هل أنت بخير؟».

فقالت: «أجل ولكن لماذا أنت هنا يا سيد ماكويلان؟ لقد أعطيت أختي وزوجة أبي انطباعاً ما، بأننا... صديقان».

فقال: «من الصعب أن لا يعجب بك المرء يا كاترينا وعلي أن أقول إنني سررت عندما رأيتك مرحبة بوجودي».

قالت بشيء من الغضب: «هل أخبرك جايمس عن حادثتي؟».

فأومأ إيجاباً وفتح لها البوابة وهو يلاحظ توهج شعرها تحت أشعة الشمس الذهبية ثم تابع يقول: «ليته أخبرني من قبل! إنّ علاقتنا أقوى من العلاقة المعتادة بين المحامي وعميله، لكن حبه البالغ لك جعله لا يحتمل ألمك ويمكنني أن أتفهم ذلك».

فسألته: «هل يمكنك ذلك حقاً؟».

التوت ابتسامته: «ألا تظنين أنني أحببت يوماً؟».

رفعت بصرها إليه فإذا تألق الشمس يجعل عينيها تقذفان أسراراً ذهبية وقالت: «آسفة. لا أدري ماذا ستظن بي!».

قال: «هذا أحسن، يا كاترينا. لو كنت رجلاً مغامراً، لما راهنت على ما إذا كنا سننسجم معاً».

فقالت وقد منعها الاضطراب من لجم لسانها: «أوافقك رأيك».

فقال وعيناه تشتبكان بعينها: «هذه حكمة منك. يبدو لي، بعد أن سمعت قصتك أنه يمكنني أن أساعدك على الخروج من وضعك الصعب، على الأقل لبعض الوقت. ومن ناحية أخرى، يمكنك أن تساعديني بالنسبة إلى ريجينا».

سحبت كاري نفساً ممزقاً: «أتعني أنك ستوظفني؟».

سألها وهو يتفحصها: «ماذا قالت لك تلك المرأة حتى جعلتك تبكين؟».

شعرت لحظة بكل قواها مستنزفة. ثم قالت: «إنني لست ابنتها، وإنها متلهفة لأبتعد».

فقال: «أفضل، لن تتمكن من تحطيمك أكثر».

فقالت باحتجاج: «لا يمكنك أن تعلم، فغليندا ليست سيئة إلى هذا الحد».

قال: «أحقاً؟ لم يخبرني جايمس ذلك، كما أظن أنني عشت حياة حافلة وأعرف أكثر منك بكثير، ايتها الشابة اليافعة!».

فقالت: «أكثر مني بكثير! آسفة ولكنني أعتقد أنك تبالغ».

أخذ يتأملها بمزيج من السخرية والعطف: «غضبك من العالم قد ساعد كثيراً في تفاقم حزنك».

فقالت: «ليس من السهل أن يتعود المرء على تشتت أحلامه».

فأجاب بهدوء ساخر: «هذا شعوري بالضبط، يمكنك أن تخبريني بكل شيء في أثناء العشاء».

وانحنى فجأة يعانقها، فتملكها الذعر.

فقالت: «لماذا فعلت ذلك؟».

قال: «ماذا تظنين، يا كاترينا؟ أحاول إغاظة زوجة أبيك فهي لم تبتعد عن الستائر».

فقالت: «ستخبر أبي!».

فقال: «لا يهمني من ستخبر. هل تهتمين أنت؟ أعتقد أن عناقاً لا يعني بأنني على وشك أن أسرق ابنة «جيف راسل» الصغيرة».

سألته بصعوبة: «من هو المفروض أن تكونه بالضبط إذن؟».

أطلق ضحكة صغيرة ساخرة: «أنا أعرف أنه دور فظيع، لكنني، حالياً فارس أحلامك. لا تقلقي يا كاترينا، سنصمم على قصة هذه الليلة أما الآن فعليّ أن أذهب».

دار حول السيارة إلى ركن القيادة، ولكنه تردد قليلاً قبل أن يصعد إلى مقعده: «هل لديك ثوب أصفر في خزانتك».

ذهلت لسؤاله المباغت. فسألته: «وهل تحب اللون الأصفر؟».

فقال وكأنه شعر أنها بحاجة إلى انتعاش: «أظنه يناسبك تماماً، يا كاترينا. أريد منك أن ترتدي ما يليق بك لأننا سنذهب إلى «فيثالدي» فمزاجي الآن يتطلّب شيئاً ممتازاً».

أخذت كاري تفكر في أنها الطريقة المثلى التي يرحل بها الفارس.

***

عندما عادت إلى البيت أمطرتها غليندا وميليسا بوابل من الأسئلة منذ دخولها الردهة وقد تملكتهما الإثارة والفضول.

سألتها غليندا وهي تتكلف الضحك والغيرة المرة في صوتها: «ما الذي لديك لتقوليه؟ أنت المتكتمة. هل كنت خائفة من أن يمنعك أبوك من رؤيته؟ هل هو متزوج؟ لا بد أنه متزوج. ليس هناك امرأة حية تقبل بتركه يفلت من يدها».

وبقيت كاري صامتة، فقالت ميليسا تستحثها: «هيا، يا كاري،

يمكنك أن تخبرينا الآن على الأقل».

وعندما أوشكت كاري على أن تسألها بخشونة (ولماذا بالضبط، يا ميليسا؟) عادت تقول: «إنه شأني، وخصوصاً الآن، ألم يكن مقرراً أن أنتقل من هنا قبل أن يأتي بدقائق...؟».

فقالت غليندا وقد ضاقت عيناها: «هل تفكرين في العيش معه في بيته».

سألتها كاري وكأن الأمر لا أهمية له: «ولماذا يسيئك هذا يا غليندا؟».

فأجابت هذه الأخرى: «تعلمين أنه عليّ أن أخبر أباك».

حاولت كاري أن تكتم ما شعرت به من غضب، ثم قالت وهي تسير نحو السلم: «ليس لديك سلطة عليّ، يا غليندا، أنا في الثانية والعشرين من عمري.. أحب أبي كثيراً لكن الوقت حان لكي أقف على قدمي. رويس ماكويلان هو صديق، من أسرة محترمة. كان متزوجاً، وله طفلة صغيرة تحت وصايته».

شهقت غليندا واحمر وجهها: «أتعنين أنه مطلق؟».

ترددت كاري ويدها على مقبض السلم: «لسوء الحظ. ثمة زيجات كثيرة تنتهي بالطلاق، يا غليندا. أما العيش بالسعادة حتى آخر الحياة فهذا متروك لك ولأبي».

نادتها ميليسا وعيناه مستديرتان من الإثارة: «هل تحبينه يا كاري؟ لا بد أنك تحبينه، فهو رائع».

أجابتها: «لا. أنا لا أحبه».

ووقفت على رأس السلم وهي تتساءل عن ردة فعلهما لو عرفتا أنها لا تكاد تعرفه.

فصرخت غليندا مهددة: «لا تظني أن بإمكانك أن تنجي من أسئلة أبيك. يبدو لي رجلاً خطراً. إنه ثري، ويكبرك بسنوات، ذو حنكة وتجارب، فضلاً عن سحره، أشك أن بينكما علاقة سرية».

ردت عليها كاري: «إنه الشيء الوحيد الذي لن تتمكني من التدخل فيه يا غليندا».

سارت غليندا إلى أسفل السلم ورفعت بصرها إليها: «سيصعق أبوك إذا اكتشف الأمر».

فقالت كاري: «ربما ولكن أبي يثق بي وبقدرتي على فعل ما هو صواب».

فقالت غليندا بخبث: «كنت تحتالين علينا، متظاهرة بأن حياتك تحطمت بينما أنت طوال الوقت تخفين رجلاً.. ماكويلان... ماكويلان... هذا الاسم مألوف لدي حتماً سأتذكره...».

هتفت ميليسا متجاهلة أمها: «ولكنه رائع... أنت محظوظة يا كاري. لقد وجدت رجل أحلامك».

وفكرت كاري في انها وجدت على الأقل من يخرجها من تعاستها هذه.

***

وقفت حائرة بين ثوبين. أحدهما من الشيفون الأبيض المخطط بالأصفر والمزين بزهور الأقحوان. والثاني، وهو الذي استقر رأيها عليه من الشيفون الذهبي اللون. ثم انتعلت حذاءً ذهبياً عالياً أهداها إياه أبوها في عيد ميلادها الحادي والعشرين وقد صنع لها خصيصاً، وتحلّت بحلية تتدلى من سلسلة ذهبية وبقرطين ملائمين.. كانت تضع العطر على معصميها عندما دخلت ميليسا دون أن تقرع الباب، وتحت إبطها كتاب كبير.

قالت وهي تفتح الكتاب الكبير: «لقد تذكرت أمي أخيراً».

ثم قرأت (ملوك الماشية)، وعادت تقول: «جد صديقك مذكور هنا. الكتاب قديم قليلاً لكنه يتكلم عن الماشية وملوكها. هو ذا هنا. السير أندرو ماكويلان، سيد «مرتفعات ما رامبا». شخص فاتن، أليس كذلك؟ الشبه واضح، هناك صورة للمنزل الريفي أيضاً، وهو يطل على بحيرة

مالحة. إنها تبدو خرافية باتساعها، وهناك صورة لقطعان من الماشية تمتد خلفها مراعٍ فسيحة في شمال كوينز لاند الاستوائية. ألا تحبين أن تريها؟».

تظاهرت كاري بعدم الاهتمام داعية الله أن يسامحها على هذه الكذبة البيضاء قائلة ببساطة: «أعرف كل شيء عنها».

ومع ذلك لم تستطع مقاومة الاقتراب من وراء ميليسا لكي تلقي نظرة خاطفة.

قالت ميليسا بلهجة مصعوقة: «ما يذهلني هو أنك لم تخبرينا، يا كاري».

فأجابت كاري: «لا شيء هناك لأطلعكم عليه حتى أنني لا أعرف رويس جيداً بشكل خاص».

فقالت ميليسا: «لقد عانقك».

ـ العناق يرمز إلى الصداقة.

لم يبد على ميليسا الاقتناع وعادت إلى الكتاب تقرأه: «أعمال ماكويلان تشمل المناطق التي تمتد من الجنوب الغربي إلى الحدود الشمالية».

ووضعت الكتاب على المنضدة قرب سرير كاري، ثم قالت بسرعة وفي نظراتها شيء من الاهتمام الصادق: «تبدين رائعة الجمال، أراهن أنه يراك كذلك، هو أيضاً».

فقالت كاري: «شكراً يا ميليسا».

أكملت بابتسامة صغيرة وهي ناقمة على غليندا لأنها أفسدت الأمور بينهما إلى هذا الحد: «أريد أن أقول إنني آسفة لأنك تظنين انني سلبتك حب أبيك. لم اكن أريد ذلك قط».

طال انتظارها للجواب الذي نطقت به ميليسا أخيراً بشيء من الارتياك: «عندما أكون سعيدة، أدرك ذلك. لكن المشكلة هي أنك دوماً متفوقة علي في كل شيء. ليس من السهل أن أكون في الظل دوماً. وأظن.

أن هذا ما جعلنا أنا وأمي نهاجمك على الدوام. آسفة على هذا، يا كاري، لو كنت فتاة عادية مثلي لكنا منسجمتين تماماً».

فقالت كاري متحدية وهي تحمل حقيبة يدها الذهبية: «ولكن ألا تريدين أن تصبحي طاهية ماهرة؟ ما هو العادي في هذا؟».

فقالت ميليسا: «أرجو أن يسمح لي أبي بذلك».

قد يكون آخر حديث لهما، كما أخذت كاري تفكر، ولهذا قالت بجد بالغ: «نصيحتي لك يا ميليسا، هي أن لا تدعيه يمنعك. عليك أن تصنعي حياة لنفسك».

فاحمر وجه ميليسا: «حسناً، سنرى، استمتعي بوقتك يا كاري، أظن في أعماقي أنني أحبك حقاً».

* * *

٣ ـ موعد على العشاء

وصل رويس ماكويلان في السابعة تماماً، فسلب لب غليندا بسحره وقال يمدح كاترينا وهما يسيران نحو السيارة: «لا أظن أنني كنت سأعجب أكثر بهذا الثوب حتى لو اخترته بنفسي والمهم أيضاً أنني لم أر أثراً للدموع في عينيك».

أضاف ذلك شاعراً بدافع قاهرٍ لكي يرى هذه الفتاة الشابة خارج هذا المنزل الذي يمكن للجوّ فيه أن يُقطع بسكين.

فقالت له بجفاء: «أنت دقيق الملاحظة».

لقد سحقها ظهوره المفاجيء في حياتها...

أجاب باختصار: «هذا صحيح».

ولم يضف اكثر من ذلك، بالرغم من أنها أثارت في داخله تجاوباً، لم يستطع له تفسيراً وهو الآن قد ألزم نفسه تقريباً بأن يأخذ هذه الشابة الصغيرة الرائعة الجمال تحت سقفه، هذه الشابة التي لا تملك الصفات التي يطلبها في مربية ريجينا.

كانا يسيران في الشارع بين المنازل القديمة الرائعة القائمة بين الحدائق المورقة التي تطل على النهر.

قال: «زوجة أبيك مصرة على أن أقابل أبيك».

نظرت كاري إلى السماء القاتمة الزرقة المرصعة بالنجوم، وقالت: «أرجو منك ألا تغضب وألا تضحك علي فهي تظن أننا على علاقة سرّية

واعتقد أنه لا يمكن أن تغير رأيها فهي تصدق ما تريد أن تصدقه».

فقال: «هذا كان واضحاً وبماذا أخبرتها؟».

فأجابت: «بأنك صديق فقط، وأنك مطلّق ولديك ابنة في السادسة من عمرها».

سألها: «لا شيء عن العودة معي إلى مارامبا؟».

صُعقت لتأثير كلماته عليها. وقالت: «لم أكن واثقة تماماً من أنك تريدني».

فقال: «كنت أريد امرأة مختلفة عنك تماماً».

التفتت إليه تسأله: «ماذا لديك ضدّي؟ ثقافتي كافية. وكنت طالبة ممتازة، وتدريس طفلة في السادسة شيء سهل».

فنظر إليها: «كاترينا، أنا لا أشير إلى تلك الناحية من الأمر. أنت جميلة ومثقفة وشخصيتك قوية».

فقالت تعارضه وقد احمر وجهها: «ولكن في بيتنا أنا أمحو شخصيتي لأن علاقتي بزوجة أبي صعبة للغاية خاصة أنها سممت علاقتي بأختي، فقد جعلتنا متنافستين. إذا أردت مني أن اختبىء داخل قطع الأثاث فسأفعل».

فقال ضاحكا: «لا بأس. أتريدين حقاً هذه الوظيفة؟».

فقالت بصراحة: «أنا بحاجة ماسة إليها. خاصة حالياً فقد حدث اليوم بيني وبين غليندا نقاش حاد طلبت بعده مني مغادرة البيت».

قال باستياء بالغ: «أحقاً فعلت ذلك؟ وماذا عن ردة فعل أختك؟».

فأجابت: «ميليسا تفعل ما تطلبه منها أمها، إنها في التاسعة عشرة من عمرها».

فقال: «فهمت من خالك جايمس أنك قرة عين والدك».

ردّت: «يمكنك أن تعتبر أنني لا أؤذي أحداً. وأبي يفوته الكثير مما يجري، فهو رجل مشغول جداً وغليندا حذرة جداً معي أثناء وجوده في المنزل».

سألها بصراحة: «إذاً ماذا سيكون رأيه بشأن مجيئك معي؟».

أجابت: «أظنه سيستاء جداً».

فقال: «أنت في الثانية والعشرين ولا يمكن أن تبقي الطفلة المدللة إلى الأبد. سأتحدث إليه، بطبيعة الحال».

فقالت: «ستتحدث إليه؟».

اجاب وقد زم شفتيه: «طبعاً، وهل أقبل بأن تنطلق ابنتي في البراري مع رجل غريب.. لكن ربما يريحك أن تعرفي ان منزلي يقطنه أناس كثيرون وهكذا ستشعرين بالأمان. تسكن معي جدتي لأبي، «لويز»، وهي في الثمانين كما يسكن معي عمي «كاميرون» وهو شقيق أبي الأصغر، وزوجته الثانية لندسي. لقد ماتت زوجته الأولى في حادث سقوط عن الحصان. وكانت مأساة كبيرة، كنت ما أزال صبياً عندما حدث ذلك، لكنني ما زلت أتذكر أنها كانت جميلة ودافئة العواطف، وكانتا، هي وأمي، متحابتين جداً. وقد تزوج عمي مرة أخرى منذ سنتين فقط، بعد علاقة عاصفة، وطبعاً هناك «ريجينا» ابنتي».

فسألته: «ألا يمكن لزوجة عمك أن تساعدها بدروسها؟».

فأجاب: «لين لا تهتم بالأطفال».

فقالت: «آه، إن هذا لمحزن بالنسبة إلى ريجينا».

فقال: «لقد سبق أن أحضرنا لها مربيتين».

سألته بعذوبة بالغة: «وهل كانتا عاديتي الجمال بحسب رغبتك؟».

فقال: «لم ألاحظ ذلك في الواقع.. إحداهما كانت أفضل من الأخرى لكنهما، لسوء الحظ، لم تستطيعا إتمام وظيفتهما. ريجينا تجعل الأمور صعبة، فهي أحياناً تثير الفزع».

فقالت ضاحكة: «أحب أن أراها».

قال: «يجب أن تفعلي ذلك كثيراً».

كان صوته مميزاً مما بعث الاضطراب في اذنيها وسألته: «أفعل ماذا؟».

أجاب: «الضحك».

سألته مرة أخرى: «هل ترى ريجينا أمها؟».

فأجاب: «لم ترها منذ وقت طويل. لكن هذا يناسبني، لانني لا أطيق زوجتي السابقة».

فقالت: «ولكن لا بد أنك أحببتها في يوم من الأيام».

فقال سخرية مبطنة: «كنت أظن ذلك».

قالت: «آسفة».

التفت إليها قائلاً: «لا شيء يدعوك إلى القلق، شقيقة زوجتي «إينا» تأتي لزيارة ريجينا من وقت لآخر».

فقالت: «وهذا يفرح ريجينا بالتأكيد».

أجاب بجفاء: «ليس تماماً.. فنحن كأسرة أشبه بأسرتك من حيث تخلخل الروابط».

***

قادهما النادل إلى مائدة مضاءة بالشموع معدة لشخصين تطل على مشهد رائع للنهر. كانت تشعر بالحماسة والثقة في نفسها، وقاومت رغبة في أن تمرّ بيدها على شعرها البالغ كتفيها طولاً، والذي كان يبدو رائعاً.

لم تكن سمعت قط، قبل اليوم، باسم رويس ماكويلان. وها هي الليلة تتناول العشاء معه.. لم تكن كاري مغرورة حتى لا تدرك أن الانتباه الذي تراه من الزبائن كان مقسماً بينها وبين رويس.. كان الرجال ينظرون إليها مفتونين بجمالها بينما النساء لم يبعدن نظراتهن عن رويس ماكويلان ووسامته الخارقة. كانت كاري تبتلع ريقها كلما نظرت إليه. إنه رجل يفرض نفسه على الآخرين بشكل غير عادي. إنه بالغ المهابة، واللطف. ولكنها في الوقت نفسه وجدت نفسها مستاءة بشكل غامض حتى وهي تبتهج لتدخله في حياتها.

سألها وهو يراها تطالع قائمة الطعام بإمعان: «هل أنت جائعة؟».

فأجابت: «لا يمكنني أن أقول إنني جائعة تماماً».

كانت تستمد منه الحماسة إلى حد مخيف. وتابعت تقول: «تقلب

الأحوال جعلني مضطربة، لم أحلم هذا الصباح قط بأنني سأتناول العشاء هذا المساء على هذا النحو».

فقال ببساطة: «هذه طبيعتي، وعليك إراحة نفسك. هل سبق أن جئت إلى هذا المكان من قبل؟».

هزت رأسها ونظرت حولها: «لا».

كانت القاعة مزخرفة على الطراز الأوروبي العريق. ستائر رائعة من الحرير الأزرق المتموج ولوحات لأزهار مذهبة الإطارات وثريات تخطف الابصار. وقالت: «غالباً ما يأتي أبي وغليندا إلى هنا. إنه مكان رائع».

فقال: «وكذلك الطعام».

وأخذ يتأمل قائمة الطعام، كان وجهه منحنياً بحيث تفحصته من دون أن ينتبه، كان لهب الشموع الموجودة على المائدة اللون يمنح وجهه لون البرونز وحاجبيه لون الأبنوس الحالك السواد.

قال: «لماذا هذه النظرة الغريبة في عينيك؟».

فقالت تتحداه: «وما هي هذه النظرة؟».

فقال: «وكأنك تفكرين بجمع تنورتك النرجسية اللون والهرب».

فسألته بصوت خافت: «وهل تلومني؟ أنت رجل غريب».

نظر إليها مغازلاً: «أنا لست كذلك ولكنني أخبرتك أنني فارسك المنقذ».

فقالت: «أو «التنين» الذي يخطف الفتيات الجميلات».

قال: «لا تظني هذا».

ولمس أناملها بأصابعه فشعرت بموجة تهزها من رأسها حتى أخمص قدميها.

قال وهو ينظر إليها تحمر خجلاً: «هذا الإحمرار بالغ الحساسية يا كاترينا. لم أر امرأة تحمر خجلاً منذ زمن».

وبدت المرارة في صوته.

ولماذا لا يحمر وجهها ودمها بهذه السخونة؟ وقالت: «ربما الأفضل

أن نقرر الآن من أكون بالضبط. المربية الجديدة؟ ام الموظفة؟».

فقال: «ربما قريبة بعيدة القرابة».

بقيت للحظة لا تستطيع التفوه. وأخيراً نطقت: «يمكنني أن أفهم سبب رحيل المربيتين، ولا أظن أن ريجينا هي السبب الوحيد».

ابتسم، وتبددت من ملامحه تلك السخرية الخفيفة. وقال: «إذا كنت تظنين أنني كنت أضايقها، فأنت مخطئة تماماً، أنت غير عادية بالنسبة إليّ بقدر ما أنا غير عادي بالنسبة إليك. هذا إلى أن لديك مطلق الحق في أن تتضايقي بالنسبة لجوّ الغطرسة الخفيفة هذه».

كانت تدرك أنها تلعب بالنار، لكن اللهب كان ساطعاً للغاية. فأجابت بهدوء، واعية إلى ما تشعر به من دوار.

ـ ربما الآن، وربما لاحقاً أستجيب لك.

فأجاب وهو ينظر إلى قائمة الطعام قائلاً: «ذلك سيعجبني، يا كاترينا، ولكنه لن يحدث في الواقع. أظننا نعلم، نحن الإثنين، إلى أين سيقودنا هذا الطريق».

لم تعرف ولم تتوقع قط أن تلتقي رجلاً خطراً وشديد المغناطيسة مثله، ولأول مرة، منذ حادثة الاصطدام، شعرت، بإحساس قوي بالحياة يتملكها، وبأن كل أحاسيسها تعود إليها.

* * *

كان الطعام ممتازاً، والحساء المرافق للطعام البحري لذيذاً للغاية ودسماً وهذا ما جعلها تشعر بأنها كانت جائعة.

كل هذا بينما رويس ماكويلان يضحكها بمجموعة من القصص الطريفة عن حياة البراري، بعضها مضحك للغاية. وعندما كانا يتبادلان الرأي في أن يختما وجبتهما بالحلوى أم بالجبن، لم تنتبه لدخول مجموعة من أربعة أشخاص لكنها تنبهت إلى ذلك التغيير المفاجيء الذي ظهر على ملامح رويس ماكويلان، وتوتر جسده بشكل ملحوظ وضاقت عيناه.

جمدت مكانها تماماً وهي تسأله بهدوء: «هل كل شيء على ما

يرام؟».

فقطب جبينه: «من المؤسف افساد هذه الأمسية. تجنبي النظر إليهم».

كان الأمل في أن لا يلحظوه قليلاً خاصة وهو بهذا الطول والوسامة ومتانة البنية.

بعد لحظات قليلة هتف صوت امرأة مرح يقول بسرعة من مكان ما خلف كتف كاري: «ما أجمل هذا!».

كانت هذه الملحوظة، كما التقطتها أذن كاري الحساسة، مشحونة بالحقد. ومع ذلك، توقعت أن ينهض رويس ماكويلان واقفاً. لكنه بقي جالساً، يحدّق إلى امرأة بالغة النحافة تقدمت بجانب المائدة، وبدت محنكة.. كانت ترتدي ثوباً فضياً، مثيراً للغاية، وشعرها الأسود، معقود على قمة رأسها ثم ينحدر إلى الخلف. كانت تنظر إلى كاري باستغراب، بعينيها الزرقاوين الشاحبتين كقطع الثلج وتقول بصوت كهديل الحمام بلهجة واضحة السخرية: «أليست كالزهرة؟ زنبقة صفراء متألقة.. وفتية تماماً. ألن تقدمنا إلى بعضنا البعض يا حبيبي؟».

فقال ببطء: «آسف يا شارون، أنا لن أقدمك إليها أبداً».

كان قد أخفى انزعاجه وراء مظهر هادىء.

فقالت المرأة شارون وهي ما زالت تنقل نظراتها بين رويس وكاري بحدة غير عادية: «رجل مثلك بحاجة دوماً إلى امرأة جميلة بجانبه».

ثم وجهت كلامها لكاري: «كيف حالك يا صغيرة؟ أنا بالمناسبة، شارون ماكويلان، نعم. أنا موجودة حية كما ترين. فمن أنت؟».

أجابت كاري بصوت حيادي: «لست امرأة ذات أهمية».

قالت شارون: «لكنني أعلم بحقيقتك».

كانت شارون منزعجة وغاضبة فقال رويس: «عليك أن تتقبلي فكرة أنك الآن (فعل ماضٍ) يا شارون».

أجابت وقد بدا التوتر على ملامحها فبدت دميمة تقريباً: «لن أتقبل

ذلك، دوماً كنت قاسياً يا رويس».

فقال: «لا تدعي هذا يزعجك فقد خرجت من حياتك والآن لماذا لا تعودين إلى أصدقائك؟ انهم يحدقون إلينا. وأنا أرى «إينا» معك».

أطلقت شارون ضحكة ازدراء وهي تجيب: «إينا غير وفية على الإطلاق. وأنا سأكون ممتنة لك، يا رويس، إذا لم تسمح لها بأن تزوركم بكثرة لأنها تتخذ المسكينة ريجينا عذراً، لتراك أنت وليس الطفلة».

هذه هي الحقيقة إذن، كما أخذت كاري تفكر، بينما أجاب رويس ساخراً بحدة: «ما زلتما تغاران من بعضكما البعض؟ لا أدري كيف تجدان الطاقة لذلك، لماذا لا تذهبين بهدوء، يا شارون؟».

واجهته شارون برد عكسي إذ ازدادت اقتراباً، مائلة نحوها، وخاطبت كاري: «لا تدعيه يذلك كما أذلني. قد يسحرك الآن... فقد سحرنا جميعاً، لكنه سيهملك في النهاية. أنا أعلم هذا».

تملك كاري العطف نحو المرأة. هذه المرأة تتألم سواء أكانت على حق أم على باطل. وجعلها هذا الشعور تجيبها: «لقد قلت لك، يا سيدة ماكويلان، إنك تصنعين شيئاً من لا شيء».

لكن شارون استمرت تحدق بمرارة في عيني كاري الذهبيتين الكبيرتين: «أنا آسفة، فهذا من المستحيل تصديقه. لدي تجارب كثيرة في هذه الأمور وأنت شخص له تأثيره في حياة زوجي».

وقف رويس بقامته الفارعة، وقال: «بل زوجك السابق يا شارون.. ليس من الضروري أن أذكرك بذلك. سنقول تصبحين على خير».

عند ذلك تحركت شارون، ووضعت يدها على كتفه ثم وقفت على أطراف أصابعها لتضع قبلة على فمه فإذا بها تقع على وجنته: «تصبح على خير يا حبيبي».

وزفرت بصوت ممزوج باللذة والعذاب، ثم التفتت إلى كاري وعلى وجهها عطف غريب: «تصبحين على خير، يا آنسة (أياً كان اسمك). هل بإمكاني أن أمدح شعرك؟ إنه رائع الجمال رغم أنني لا استطيع أن اميّز ما

إذا كان طبيعياً ام مصبوغاً».

فقال رويس بسخرية: «انظري إلى الجذور لتعرفي ذلك. وداعاً يا شارون لن أنسى أن أبلغ حبك لابنتك».

لوّحت شارون له من فوق كتفها وهي تتجه نحو مائدتها: «افعل ذلك يا حبيبي».

تمتمت كاري: «يا رب»، كانت معتادة على الشجار لكن هذا النوع من الشجار أثار أعصابها، وقال رويس يعتذر: «آسف لما حدث. إنها المرة الأولى التي أتناول العشاء فيها خارجاً منذ أشهر وإذا بي أصطدم بزوجتي السابقة».

فقالت وهي تلاحظ استياءه: «لا بد أن ذلك مؤلم جداً».

فقال: «ليس بالمعنى الذي تقصدينه. الألم كان لريجينا. لقد نبذتها شارون منذ اليوم الأول».

طبع كاري العادل جعلها تلتمس لها عذراً: «هل من الممكن أن تكون أصيبت باكتئاب».

فكر لحظة قصيرة وقد اكفهر وجهه: «لدي إحساس، يا كاترينا، بأن شارون لم تستطع التأقلم مع ابنتها لأنها لم تكن تريدها.. لقد أظهرت ذلك مرة بعد مرة، ريجينا لا تعرف حنان الأم».

هزت كاري رأسها باستنكار: «هذا محزن جداً. ولكن لا بد أن ريجينا حبيبة لديك».

فقال بصوت رقيق: «إلى حد بالغ. لكن تعلقها بي يقيدني فهي تريد مرافقتي إلى أماكن لا يمكنني أن آخذها إليها. فهي طفلة، وأنا ادير سلسلة ضخمة من قطعان الماشية. وعلي التغيب عن المنزل في أوقات مختلفة لا استطيع الاهتمام بها وهي لا تفهم. في ذلك الأمر هي تشبه أمها قليلاً. شارون كانت تعاني مما يسمونه (توتر أعصاب) وكنت أظن ذلك نتيجة لدليلها إلى حد بالغ ولكنني سرعان ما تعلمت».

فقالت: «ذلك أفسد عليك المساء».

فأجاب بهدوء: «وعليك أيضاً. أصبح وجهك شاحباً».

فقالت: «ما زالت تحبك».

نظر إلى عينيها بسخرية: «شارون لا تحتمل التخلي عن كل ما تعتقد أنه ملكها، والحب ليس ضمن ذلك. إنها بحاجة إلى التمسك بما تظنه ملكها».

لم تقتنع كاري، وسألته: «وأختها، خالة ريجينا، أهي برفقتها؟ لا أريد الالتفات ولكن لدي شعوراً بان النظرات تخترق ظهري».

فقال: «لأنك رائعة الجمال. لماذا لا نتناول القهوة في مكان آخر؟».

ضبطت كاري نفسها. وقالت: «أرجو منك ألا تزعج نفسك بي. لقد استمتعت بوقتي تماماً، ويسرني جداً أن أعود إلى بيتي».

فقال رافعاً حاجبه: «طبعاً أنت لا تعنين هذا».

فاضطرت إلى الاعتراف: «بل أعنيه. وأنا مستعدة للذهاب إلى البيت».

رفع يده يستدعي النادل قائلاً: «لن نشرب قهوة، لا حاجة للإسراع».

فقالت: «حسناً، أنا اعلم اين يقدمون أفضل قهوة ولكن صدقني لا أريد...».

فقاطعها: «انسي الأمر».

وعندما استعدا لمغادرة المطعم، تحركت «إينا»، أخت شارون الصغرى، واندفعت إليهما وهي تلهث. ورغم أن رويس حياها من بعيد إلا أنها صرخت وعلى وجهها ابتسامة متألقة: «رويس، صدفة جميلة، ما الذي جاء بك إلى المدينة؟».

فقال وهو يتقبل قبلتها السريعة على خده: «العمل طبعاً، كيف حالك يا إينا؟».

ومرة أخرى تجاهل السلوك التقليدي ولم يعرفها بكاري، التي كانت تنتظره.. كانت الشقيقتان متشابهتين فقد لاحظت كاري أن الاثنتين طويلتان ونحيفتان وأن لهما نفس الشعر الأسود والعيون الزرقاء.

وبالرغم من أن كاري لم تنظر ناحيتهما، لكنها لاحظت أن اندفاع «اينا» اليهما كانت لمعرفة من هي كاري بالضبط، وقد يكون ذلك نتيجة إلحاح من شارون، فقد كانت هي الأخت المسيطرة.

تظاهرت كاري بتأمل مجموعة من الأزهار، وعندما عاد رويس أمسك بها من مرفقها وهو يقول: «أنا شديد الأسف على كل شيء وعليك أن تصفحي عني لأنني لم أقدمك إليها فقد أردت بذلك أن أجنبك المشاكل».

ولكن كاري تكهنت بأن زوجته السابقة لن ترتاح الا بعد أن تعرف من تكون كاري بالضبط.

أجابت بمرح: «لم أكن اعلم أنني ذات اهمية إلى هذا الحد».

وتنبهت إلى اقترابه البالغ منها وسمعته يقول: «من الغريب أن الأهمية تنعقد على كل امرأة تتأبط ذراعي».

سارا بصمت على «كورنيش» النهر المتألق بالأنوار حيث كان المارة يتنزهون. كان النسيم نقياً عليلاً. والسماء ترصعها النجوم واليخوت المترفة راسية أمامهم. وعندما اقتربا من سيارته «الجاغوار» الواقفة في الشارع على مسافة قصيرة من المطعم، إذا بسيارة رياضية ثمينة تبرز فجأة مندفعة بسرعة فائقة من طريق الفندق فاثارت الخوف في نفس كاري خاصة أن مخاوفها وقلقها لم تخف خلال الشهور الطويلة التي مرت على ذلك الاصطدام. وعلى الفور، أحاطها بذراعه وهو يهتف: «لا بأس عليك يا كاترينا».

واستكانت إليه ضاغطة برأسها على كتفه، بينما تمتم هو يقول وهو يتابع بنظراته السيارة التي كان يقودها شاب بقربه فتاة: «دوماً هناك أحمق يتباهى أمام صديقته...».

لم تكن كاري تسمعه. جسدها بأجمعه قد ذاب أم هذا ما جعلها هو تشعر به؟ كانت دراستها قد شغلتها عن العلاقات الحميمة، لكنها كانت تعرف جيداً أن العواطف الحقيقية والمشاعر الملتهبة غير معروفة لديها.

إلى هذه اللحظة!

وعاد يحتضنها بذراعه، ولم يكن عليها سوى أن تستسلم له فقد كانت تدرك أنها ترتجف. أتراها تمتمت بشيء ما، ام لعلها تنهيدة ناعمة صدرت من بين شفتيها. إنه الرجل الذي بإمكانه أن يحطم قلبها.

رويس أيضاً شعر بتأثير غير عادي. كيف يمكن أن ينشأ شعور كهذا من لا شيء؟ كان جسدها بالغ اللين والضعف الأنثوي بين ذراعيه.. أراد أن يضم هذا الجمال إلى قلبه.. ولكنه لم يشأ أن يتوقف عند ذلك.. لم يعش أعزب منذ انفصاله عن شارون، لكنه كان يعرف كيف يتحكم في مشاعره.

حتى هذا الحين!

رغبته العنيفة بها كانت أشبه بحاجة الإنسان الظمآن إلى الماء. تصور نفسه بوضوح في الصحراء وقد جفّ حلقه من الظمأ، وإذا به يلتفت فيرى نبعاً يتفجر منه الماء البلوري.

كيف يمكن للحظة واحدة أن تستمر إلى الأبد؟ وأرغم نفسه على أن يتنفس بعمق محدّثاً نفسه بأنه تجاوب الرجل البدائي نحو أنثى جميلة ولكن التحكم لا يأتي بسهولة عندما تسري النار في دمه، ما الذي كان يحدث؟ يا إلهي! كان يفكر في ذلك مستغرباً سرعة تطور مشاعره. كان الأمر كما لو كان يقطع شوطاً عنيفاً على ظهر حصانه. تملكته الرهبة والانتعاش في نفس الوقت، ولم يبد أن بإمكانه التحكم في مشاعره رغم محاولته.

(قف... الآن).. نبّه نفسه بحزم، رغم أن قشعريرة من الإثارة سرت في ذراعها. أمسك بوجهها الجميل بيده، وقال بصوت أعمق من العادة، ولكن مصطنعاً العفوية: «أتمنى لو تطول هذه اللحظة يا كاترينا، لكن هناك شخص قادم على دراجته يوشك أن يمرّ فوقنا».

وفي الواقع، كان صاحب الدراجة يتوجه إلى إشارة السير، ولكن لم يكن هذا هو السبب الفعلي لابتعاده إذ عليه أن يلتزم العرف، فهذه الفتاة هي مربية ريجينا الجديدة، فتاة شابة لديها مشاكلها الخاصة وعليه التركيز على هذا الأمر بشدة بالغة.

٤ ـ الفاكهة المحرّمة

بقي أمام كاري مهمة إقناع أبيها بحاجتها إلى الرحيل. كانا جالسين إلى مائدة الإفطار، وكان ابوها قد تأخر عن عمله. وكان الجو بينهما متوتراً إثر إعلانها النبأ وهتف «جيف راسل» والصدمة تعلو وجهه.

ـ ولكن مربية يا كاري؟ ما الذي يجعلك تقومين بعمل كهذا؟

كلامه جعلها تبدو وكأنها تمتهن اكثر الأعمال حقارة.

ـ لقد أمضيت طوال تلك السنوات في التدريب على العزف والآن تريدين أن تدفني نفسك في أدغال «شمال كوينزلاند؟» لا أفهم هذا، لا بد أن هناك سبباً لذلك. أتراك وقعت في غرام ذلك الرجل ماكويلان؟.

حدقت كاري في أبيها دون جواب، إنها مقتنعة باستحالة الأمر كما أنها لا تريد أن تفكر في إمكانية حدوثه فقد صممت على أن لا تقع في شباكه.

سألها أبوها وهو الرجل المتسلط: «كاري؟ هل ستلتزمين الصمت طويلاً؟

فبادرته كاري منهكة القوى: «آسفة يا أبي، أعلم أنك تحبني كثيراً وأنك تريد لي الأفضل، لكنني لا أظنك تفهم حقاً ما فعلته بي إصابتي، قد أبدو متماسكة ولكنها أفسدت عالمي بأجمعه، جلّ ما أريده هو أن أبتعد فترة من الوقت، إذ لا أريد أن تكون لي علاقة بالموسيقى».

هتف أبوها غير مصدق: «بعد كل الأموال التي أنفقتها عليك؟ يكفي

ثمن البيانو وحده. يا إلهي! أي أب ينفق ذلك القدر من النقود؟ لا أدري كيف تفكرين بأنني لا أهتم. أنت ابنتي وسأبذل المستحيل لأجلك، لا يمكنني أن أدع هذا يحدث».

شبكت كاري يديها ببعضهما لمنعهما من الارتجاف، فقد كان أبوها بالغ السطوة وقالت بهدوء: «بلغت الثانية والعشرين يا أبي. إني راشدة قانونياً، وأريد أن أجد طريقي الخاص في هذه الحياة».

رد عليها بغضب: «دون مال؟ لم تحتاجي يوماً إلى المال في حياتك لأنني دوماً كنت أزوّدك به».

تبينت كاري مبلغ غضبه واضطرابه فقالت: «لن انسى فضلك يا أبي، ولكن عليك أن تمنحني قسطاً أكبر من الحرية. فالوظيفة التي عُرضت علي تتضمن مصاريف الإقامة والراتب سخي، لدي أيضاً ميراث جدتي، في حال احتجت إلى نقود».

فقال بصوت متوعّد: «أنت لا تفهمين. لا أظنني أحتمل فراقك، يا كاري، فأنت نور حياتي، أنت البكر وكل ما تبقى لي من أمك».

بان الحزن على وجهها وهي تقول: «لديك ابنة أخرى، يا أبي. وهي تحبك جداً. ولديك غليندا».

أشاح أبوها بوجهه الوسيم العدائي وهو يقول: «أعلم هذا وأنا أحبهما. لكنني أكن لك أصدق المشاعر».

إنها تشكّل هاجساً له فقالت: «هذا يجعلنا مثلثاً، يا أبي. أنا في القمة وغليندا وميليسا على الأطراف».

أغضبه جوابها: «أرجو أن لا يكون لأختك دور في المسألة فأي رجل عاقل يمكنه أن يستشف مبلغ غيرتها منك».

ردّت بحزم: «ليس لميليسا دور في هذا الأمر أبداً. يجب أن أرحل، يا أبي. إنه قراري الخاص، يجب أن أعيش فترة وحدي. السيد ماكويلان سيزورك في المكتب اليوم ليتعرف إليك، وهو سيتصل قبل ذلك لتحديد موعد يناسبك».

فقال بغضب: «سأراه حتماً. فالفضول يتملكني تماماً لمعرفة هذا الرجل، ماكويلان، الذي بإمكانه أن يستأجر خدمات عشر مربيات إذا ما ذهب إلى الوكالة، فماذا يريد منك؟ أخبرتني غليندا أنه رجل مطلق».

تأملت كاري أباها بهدوء، شاعرة نحوه بالحب والعطف، ثم قالت: «حدث ذلك يا أبي رغم إرادتهما».

فقال: «وهل لديه طفلة؟».

فأجابت: «إنها ريجينا وهي ستكون مسؤوليتي».

فصرخ بضيق بالغ: «هذه سخافة وأظن أن جايمس هو المسؤول عن توريطك في هذا الأمر، إنه دوماً رقيق مهذب ولكنه يكنّ العداء لي. أعتقد أن لديه يداً في كل هذا، ربما وقع ماكويلان في غرامك، فأنت شابة رائعة الجمال ولديك الكثير من المزايا. . يمكنني أن أتصور السبب الذي يجعله يوظفك مربية لطفلته. أظنه يريدك ولكنه يحاول أن يجعل الأمر طبيعياً، وهذا ما لن أقبل به».

وقفز من مكانه، ملقياً الكرسي إلى الخلف بحنق. نهضت كاري بدورها وواجهت أباها بثبات، وهو شيء لا يستطيعه الكثيرون: «أبي إن تقييمك للوضع خاطىء. لقد أراد السيد ماكويلان أن يكون شهماً معي، كان في ذهنه صورة أخرى عن المربية، كما أخبرني بنفسه، أنا التي الححت عليه ليعطيني الوظيفة لأنني بحاجة للابتعاد عن كل ما يتصل بحياتي السابقة. أريد العيش في بيئة جديدة مختلفة تماماً لكي أتخلص من مشاعر الحزن والإحباط التي تتملكني. أرجوك أن تتفهم. أنت تقول إنك تحبني و. . .».

وتهدج صوتها فجأة واغرورقت عيناها بالدموع، هتف أبوها وهو يحدق إليها بحيرة وقلق: «كاري، حبيبتي، أنت حزينة أكثر مما كنت أظنك. لا أحب أن أراك في هذه الحالة من الاضطراب. فهذا يحطم قلبي، أنت بحاجة إلى حب ودعم أسرتك. ربما تحتاجين إلى عطلة تقضينها في أي مكان في العالم. يمكن أن تصحبك غليندا وميليسا إذا أردت. . كان

يجب أن أقترح هذا منذ زمن طويل».

فقالت: «لا أريد رحلة يا أبي».

قال ابوها بجد واهتمام: «إنه اكتئاب وليس عليك أن تخبريني شيئاً عن ذلك، لقد عانيت الأمرّين حين ماتت أمك».

وأخذ يكرر ذلك وكأن حزنه أقوى من الزمن، وعاد يقول: «دعيني أتحدث إلى ماكويلان فأنا ماهر في الحكم على الرجال. لقد أخبرتني غلينداً بكل شيء عن خلفياته، وعن أسرته الرائدة وممتلكاته الشاسعة ولكن هذا لا يعني أنه الرجل الذي أود أن ترتبط به ابنتي».

ومد «جيف راسل» يده يربت على كتف ابنته مطمئناً: «دعي الأمر لي يا كاري، دعيه لأبيك، قد يكون الانتقال إلى مكان بعيد مفيداً بشرط أن لا يطول».

انتظرت غلينداً حتى غادر زوجها إلى عمله، وقبلته في الردهة مودعة، ثم جاءت إلى كاري في غرفة الفطور وسألتها بلهفة: «كيف سارت الأمور؟».

حوّلت كاري بصرها إلى الحديقة المزدهرة قبالتها، وأخيراً قالت لها بهدوء: «بردت قهوتي... هل تريدين كوباً؟».

أجابتها غلينداً بصراحة: «أريد أن أعرف ما قاله أبوك».

فقالت كارين وقد ابتدأت تتململ: «حسناً، سأريح بالك.. لن يشكل ما يقوله أبي فارقاً لأنني سأقبل الوظيفة».

رغم أن غلينداً تألقت ارتياحاً، إلا أنها تابعت قائلة بسخرية: «وأي وظيفة؟ لا بد أنك ترينني معتوهة أو عمياء عن قراءة الدلائل. أنت تلاحقينه، أليس كذلك؟».

أجابت كاري بهدوء وبرودة: «إذا كنت تظنين ذلك فأنت إذن معتوهة».

تقدمت غلينداً إليها فتواجهت المرأتان: «هذا صحيح. ولكن، حاذري من أن تخطئي فتخسري كل شيء، يا كاري، لقد بذلت ما في

وسعي لتحملك ولكن الأمر طال اكثر مما يجب، لقد فصلتِ ميليسا عن أبيها، وقمت بكل ما في إمكانك لكي تحوّلي حبه عني».

لأول مرة في حياة كاري، انتفضت امام زوجة أبيها، فتقدمت خطوة نحوها ما جعل المرأة تخطو إلى الخلف: «أظن أن تصرفات أبي تخصه وحده يا غلينداً فلا تكذبي. لقد تجنبت أن أثير انتباه أحد ولا تخدعي نفسك بأنك بذلت جهوداً لأجلي فقد كنت خبيثة منذ اليوم الأول للقائنا. كنت امرأة وضيعة بحيث لم تستطيعي أن تدخلي طفلة صغيرة عاجزة إلى قلبك. كنت ستحبك ولكنك لم تدعيني أفعل ذلك. أتعرفين؟ لدي صديقتي «كريستي ستيرد» زوجة أب متعلقة بها وهي محظوظة... والآن سأبقى في المنزل عدة أيام لترتيب أموري واستجماع شتات نفسي. سأنصحك بأمر ما ومن الحكمة أن تحفظي ذلك حرفياً: إذا ما بدر منك أو من ميليسا حتى ولو نظرة شزر جانبية فسأخبر أبي كيف كنت معي طوال هذه السنوات. وهل تعلمين ماذا يا غلينداً؟ سيصدقني أبي».

***

أخذها أبوها بسيارته إلى المطار، مبتسماً رغم كدره، فما قاله رويس ماكويلان، جعله يغيّر رأيه حتماً. لقد قبل الآن فكرة أن تغييراً جذرياً في منطقة ماكويلان التاريخية، يصبّ في مصلحة كاري تماماً.

أخبره رويس ماكويلان عن أسرته. جدته وعمه كاميرون وزوجته، وابنته ريجينا، الذين يقيمون كلهم في منزله. ما جعل «جيف راسل» مسروراً لذلك، وفي الواقع، بدا واضحاً أن رويس ماكويلان قد ترك انطباعاً حسناً على جيف راسل المعروف بصعوبة إرضائه. وهكذا أوصلها ابوها إلى المطار، وعانقها بحنان وهي مغادرة وطمأنها بأنه، إذا لم تنجح معها الأمور، فهناك دائماً بيت في انتظارها.

وبما أن جيف راسل كان فطناً بالنسبة لكثير من الأمور، وهو رجل الأعمال الناجح، أخذت كاري تتأمل ملياً في ما إذا كان أبوها أعمى عما يدور في بيته.

أقلّتها الطائرة، في رحلتها البعيدة نحو الشمال من «كابريكورن» مروراً بالمناطق الرائعة المغطاة بشجر الخيزران الأخضر وغابات المانغو والموز والباوباو وذلك على مدى مئات من الأميال المربعة. ونظرت كاري من خلال الكوة إلى الغيوم المتراكمة، وقد تملكها العجب لوجودها هنا. لقد اتصلت برويس ماكويلان لتخبره بأنها غير قادرة على العودة معه، لأنها بحاجة للاستعداد للرحلة. وكما طلب منها أرسلت إليه بالفاكس تفاصيل وصولها. فإما أن يوافيها أو يرسل نائباً عنه.

كانت الرحلة هادئة. هبطت بهما الطائرة في محيط مشرق، يعج بالخضرة وبالألوان التي كانت تغطي أرض المطار.

كان الجو أكثر حرارة من موطنها، وسرّها انها ارتدت قميصاً قطنياً أبيض مزيناً بالدانتيل وتنورة ملائمة، وحذاءً خفيفاً. لم تنس كاري أن تحضر قبعة واسعة معها، فهي ضرورية في كوينزلاند حيث الشمس محرقة.

جلست كاري تنتظر وقد احمر وجهها من الحر. لم تتوقع أن يطول قدومه فقد كان رويس ماكويلان شخصاً دقيقاً في مواعيده.

أخذت كاري تفكر في أنها هنا بصفتها مربية.. لو أخبرها أحد ما بذلك قبل أسبوع لظنته مجنوناً. إن مواهبها هي في اتجاه مختلف ولكنها كانت مصممة على القيام بعملها بشكل جيد، وشعرت بالثقة تغمرها لتدريس ريجينا. لقد كانت هي نفسها تلميذة ممتازة، كما أنها كانت ترجو أن تقيم صداقة بينها وبين الطفلة وتفوز بثقتها ومودتها. ولماذا لا؟ فهي دوماً تنسجم مع الأطفال. وكانت في الواقع تستمتع حقاً بمساعدة الصغار في الكونسرڤتوار، لكنها عادت فذكرت نفسها بأن أولئك الأولاد كانوا موهوبين وإلا لما كانوا هناك، بينما ريجينا المسماة بالطفلة الرهيبة، طبقاً لوصف أبيها، لم تكن كذلك. الشيء الوحيد الذي لن يمكنها مواجهته هو الفشل. إنها بحاجة إلى هذا العمل.

والأغرب من ذلك هو عدم مجيء أحد. لا رويس ماكويلان ولا حتى أي شخص من قبله. لقد انتظرت أكثر من ساعة ونصف، وعندما وقفت لتشتري زجاجة «كوكا» وصلت طائرة أخرى. وأخذت تنزل الركاب والأمتعة وبدأت الكآبة تغلفها. هل نسيها؟ كانت تعلم أن رويس ماكويلان رجل مشغول وربما حدث طارىء في العمل؟ أو أصيب أحد ما؟ لقد قرأت أن هذا يحدث مراراً في البراري. وافتها المضيفة التي سبق أن تفقدت أحوالها. كان الوقت عصراً، وقد مرت ساعتان بطيئتان على وصولها.

قالت لها كاري: «من المفروض أن يوافيني أحدهم من «مارامبا» وقد بدأ القلق يتملكني. هل تعرفين تلك المنطقة؟».

أشرق وجه الفتاة: «الكل يعرف «مارامبا» هنا. إنها إحدى افضل مناطق الماشية في البلاد، وأسرة ماكويلان نافذة في تلك البقعة من العالم، فهي أشبه بأسرة ملوكية. أتعرفين رويس ماكويلان؟».

وارتعش صوت المضيفة بشكل واضح.

فقالت كاري: «جئت لأكون مربية لابنته».

فهتفت الفتاة: «يا الهي! كم المظاهر خداعة! فأنت لا تبدين مربية وأنا أرى الكثيرات منهن مسافرات».

سألتها كاري التي تظن أن المربيات يجب أن يكن شابات ذكيات: «ولماذا».

فأجابت هذه: «رباه. لقد نزلت من الطائرة وكأنك نجمة سينمائية متخفية».

وعادت المضيفة تتأملها من جديد: «لماذا لا تتصلين بالمركز هناك فتسألي إن كان ثمة أحد قادم؟ لقد تأخر الوقت والطريق طويلة، وقد انتظرت أكثر من ساعتين».

وقفت كاري على الفور ونظرت حولها: «أظنك على صواب».

قالت المضيفة: «سأحرس أمتعتك. التليفونات هناك».

فقالت كاري باسمة: «نعم، أعرف ذلك. لن أتأخر».

أجابها صوت امرأة، وقد بدت عليها الدهشة وهي تقول: «ولكن، يا عزيزتي، أنا واثقة تماماً من أن السيد ماكويلان لا يعرف شيئاً عن ذلك. لماذا لم تخبرينا؟ يا للحماقة!».

وأكّدت كاري لهذه المرأة وهي مديرة منزل رويس ماكويلان، بأنها أرسلت لهم بالأمس عن طريق الفاكس، كل التفاصيل.

وبالنتيجة نصحتها مديرة المنزل بأن تستقلّ إحدى حافلات المطار إلى المدينة ثم تذهب إلى فندق «بارادايس بوينت» وستخبر السيد ماكويلان فور حضوره إلى بيته. كان واضحاً أن السيد ماكويلان سيستاء حتماً وبدا في صوتها شك بصحة كلام كاري.

وعادت المرأة تسألها وكأن كاري بليدة الفهم: «والآن، هل فهمت ما عليك أن تفعلي؟».

فأجابت كاري: «نعم. شكراً. فندق «بارادايس بوينت».

فقالت المرأة: «قولي لهم فقط إنك ذاهبة إلى «مرتفعات مارامبا» لئلا يحملوك نفقات الإقامة».

وضعت كاري السماعة شاعرة بالاشمئزاز، فلم تكن هذه بداية حسنة ولكنها شعرت بارتياح بالغ لأن مديرة المنزل ليست عضواً في الأسرة، فقد بدت لها تنيناً حقيقياً.

***

أخذت تنظر من شرفة غرفتها إلى الشمس الاستوائية التي كانت تغرب. لا بد أنهم ظنوها ضيفة فأعطوها غرفة مشرفة على البحر في الدرجة الأولى. لا بأس، إذا اضطرت فستدفع الفرق من جيبها الخاص.

ما الذي حدث للرسالة التي بعثتها؟ لقد وصلتها إشارة الوصول وهي متأكدة أن الفاكس قد وصل، ومع ذلك بدا صوت مديرة المنزل حذراً وهذا ما جعلها تفهم أن كل ما يتلقاه المركز من رسائل يُبت في أمره على الفور. كان الأمرُ غامضاً.

الساعة السادسة والنصف، بدأت تشعر بالجوع. لقد تناولت فطوراً خفيفاً في البيت قبل سفرها، ولم تتناول الغداء مفضلةً الابتعاد عن طريق غلينداً. وفي المطار عند نهاية الرحلة تناولت زجاجة عصير. ترددت في إضافة عشاء إلى قائمة مصاريف إقامتها ولكنها ما لبثت أن فعلت إذ يمكن «لرويس ماكويلان» أن يحسمه من راتبها، هذا إذا رأته مرة أخرى.

كانت تسرّح شعرها عندما سمعت نقراً على بابها. لم تطلب منهم إرسال العشاء إلى غرفتها. ربما يريدون أن ينزلوها إلى درجة أدنى، وصممت على مناقشتهم بالموضوع. وضعت الفرشاة من يدها وألقت نظرة باتجاه المرآة، ثم اتجهت نحو الباب.

ومجدداً فقدت الإحساس بالزمن كما حدث معها بالضبط في المرّة الأولى التي وقعت عيناها عليه. كان «رويس ماكويلان» واقفاً أمامها بجاذبيته القاتلة، في القميص الكاكي والجينز الضيق والحذاء الطويل المغبر.. كان شعره الأسود يلمع كجناح الغراب، وقد تدلت خصل منه على جبينه.. لقد بدا رجلاً خطيراً للغاية.

كلامه كان مختصراً ومباشراً: «أما كان بمقدورك أن تخبرينا بقدومك؟».

حدجته بنظرة تعنيف: «لقد أنبأتكم بقدومي».

سألها وهو يشملها بنظراته بغطرسة: «وكيف؟».

بادلته النظر، فقالت: «بواسطة الفاكس. يمكنني أن أثبت ذلك عند الضرورة».

سألها وهو يجلس على أقرب كرسي: «هل أرسلت فاكس؟».

فرفعت وجهها: «ألا تصدقني؟».

تألقت عيناه السوداوان وقال ببطء: «كيف تتحدثين معي بهذه الطريقة والمفروض أنك مربية؟».

لم تفهم سؤاله: «بأية طريقة؟».

فقال: «لم أتعوّد أن تقف امرأة في وجهي».

فقالت: «حسناً، سأحدّق إلى الأرض».

ألم تفكر من قبل أن موظفيه يخاطبونه عادة من دون النظر إليه؟ تابعت تقول: «أنا آسفة جداً لأنك لم تتلق رسالتي. لقد أرسلتها بكل تأكيد، ولعلها ضاعت».

فقال وهو يمر بيده على شعره: «كلا. أعتقد أنني تفحصت جميع الرسائل».

أجابت بوهن: «أنا لست أفهم».

فقال: «ولا أنا، ولكنني أتيت».

فتمتمت بعذوبة مخترقة الصمت: «هذا لطف منك».

فقال: «ألست كذلك؟ أكاد أتصوّر جوعاً، فقد كان يوماً شاقاً. هل أكلت شيئاً».

فهزت رأسها: «كنت على وشك أن أطلب عشاءً على حسابي الخاص».

فضحك وكأنها بعثت التسلية في نفسه وقال: «عليّ أن أغتسل».

ووقف معلناً بحزم: «سنبيت الليلة هنا ثم نسافر في الصباح الباكر، هل هذا يناسبك؟».

فقالت: «كما تشاء يا سيد ماكويلان».

لم تقصد استفزازه مع ذلك لمعت عيناه قليلاً ثم قال معقّباً على كلامها: «كنت رويس في تلك الليلة».

فأجابت: «أصبح الأمر مختلفاً، فأنت رئيسي الآن».

فقال: «حسناً، لا يهمني ذلك، ما دمت راضياً، يمكنك أن تستمري في مناداتي رويس».

علقت بدورها: «وطبعاً مع حفظ اللقب؟ السيد رويس؟».

ألقى عليها نظرة تأنيب ثم قال: «لا بأس، تسلّي يا كاترينا، ومع ذلك قد أسميك «قطة» فلديك مخالب».

وعند وصوله إلى الباب التفت إليها: «لن أجعلك تنتظرين طويلاً.

امنحيني عشرين دقيقة فقط.. حجزت مائدة لدى حضوري، فهناك الكثير من السواح الأثرياء في المدينة».

وتركها تفكر في أنها لم تتعرف عليه إلا منذ عدة ساعات. مع ذلك فهو يؤثر فيها أكثر مما ينبغي، إنها مشتتة بين الحماسة والخوف.

* * *

عندما ولجا قاعة الطعام، أخذ الناس يلوّحون له ويلقون عليه التحية. كان واضحاً أنّ الجميع يعرفه ويبدو أنه عندما يكون في المدينة، يتناول دوماً عشاءه في الفندق. تحولت الأنظار الفضولية نحو كاري، ما جعلها تقول إن على الرئيس ألا يدعو المربيات إلى العشاء في الخارج.

فقال رافعاً حاجبه: «أنت لست مدعوة للعشاء في الخارج. وانما صادف أنك هنا فشعرت بالجوع، كما أنك جعلتني أقوم برحلة منهكة بالسيارة بعد عمل شاق. لذا كان من المفروض حقاً أن أرسلك إلى فراشك دون عشاء».

فاحمر وجهها: «أنا مسرورة لأنك لم تفعل».

سألها: «ما الذي فكرت فيه أثناء انتظارك الطويل؟».

ردت بعذوبة: «كنت افكر في أن الحياة ليست سهلة».

ضحك بصوت خافت وقال: «ما رأيك بأن أجعلك تذوقين أحد افضل أطباق هذا المطعم».

فقالت متوسلة: «ليس لحم الكانغارو. أرجوك ليس الكانغارو».

فقال: «لن تعرفي ما تأكلينه إذا لم أخبرك».

فقالت: «ولكنني أثق بأنك ستخبرني. وأظنه لحم التمساح».

ولمعت عيناها فقال: «لقد أصبت يا كاترينا، سنطلب طبقاً من لحم التمساح المدخن، والدجاج المزين بالذرة، المضاف إليه خسّاً وقطع تفاح مكعبة وثمر اوڤوكادو وبندورة».

فقالت: «آسفة أريد سرطان البحر وسلطة الباوباو، وما دمت في بلد الماشية، ولي الشرف بأن أتعشى مع ملك الماشية هنا، يفترض بي أن

أتذوق قطعة طرية من لحم البقر مع الفطر المقلي».

فقال: «أنا مسرور لقولك هذا، يا كاترينا، فاللحم البقري هنا كله من مارامبا».

***

بعد ذلك ذهبا يتمشيان أمام البحر. كانت المياه تشع بالأنوار المنعكسة على صفحتها. كان النسيم العليل الآتي من البحر يحرك سعف النخيل الطويلة، كان المنظر خلاباً بعد وهج النهار السماء المرصعة بالنجوم وحرّك في نفس كاري شوقاً غامضاً. أدركت، ويا للصدمة! أنها ومنذ اللحظة التي دخل فيها «رويس ماكويلان» حياتها، تغيرت قناعاتها الداخلية، فاستحواذه على تفكيرها شكل رادعاً للألم، لقد توقفت عن التفكير في الحادثة التي أصابتها وما فعلته بحياتها، تلك الحادثة التي انحدرت بها من القمة إلى أغوار سحيقة، أما الآن فقد اقتصر تفكيرها عليه تقريباً وكيف أن هناك نوعاً من الرجال تحوم حوله النساء كالفراشات، ترى ما هو السبب؟ هل هي رجولتهم المدمرة؟ جاذبيتهم، ام شخصيتهم القوية؟ كانت تشعر، وكأن الجو مشحون بالكهرباء أو ما يسمونه «جاذبية».

سارا بصمت ولكن بانسجام، كل منهما يستمتع بجمال الليل، بينما في أعماقهما، يشعران بأحاسيس غريبة تتجمع كالعاصفة بينهما. كانت تدرك أن هذا الانجذاب المفاجيء الذي حدث بينهما يجب أن يُسحق. ومع ذلك كانت كاري تدرك بأن العالم قد تغيّر. وشعرت بشيء من التهور وبصعوبة في ضبط أنفاسها.

كانت على استعداد للهرب منه كالقطة كما سماها، تمتم رويس أخيراً عندما اقتربا إلى مكان صغير:

ـ فلنعد. علينا أن نبكر قليلاً عند الصباح، لن أوقظك مع الفجر ولكن عليك أن تضبطي المنبه تمام السادسة، لتتناولي الفطور في السادسة والنصف. اتصلي بخدمة الغرف لنستطيع أن ننطلق بسهولة. لدي شاريان

سيرحلان بعد الظهر وعليّ أن أكون هناك.

فسألته: «ألا يمكن أن ينوب عمك عنك بذلك؟».

ردّ باختصار: «من الأفضل أن أكون هناك».

ثم أدارها صوبه بحركةٍ من يده.

كانا على مسافة قصيرة من الفندق، ولدى مرورهما تحت شجرة وارفة محاطة بحوض من النباتات الخضراء، فاجأهما وطواط واصطدم بهما وهو يرفرف بجناحيه ثم أطلق صرخة غريبة.

قال رويس بخشونة: «إنه وطواط مشاغب».

ومذ ذراعه حول كاري التي أحنت رأسها لتخفي وجهها، بينما أمسك بيده الأخرى غصن شجرة طويلاً كسلاح للدفاع عنها.

فقالت كاري بصوت مرتجف وهي تكاد ترتجف من المشاعر التي أثارها التصاقه بها: «ربما الطير أضاع طريقه».

فقال بلهجة امتزج فيها الغضب والتسلية: «إنه كبير الحجم للغاية. أنت بخير. أليس كذلك؟».

وبينما كان يرتعش كل عصب وكل عضلة تحت جلدها الخائن، أجابت: «طبعاً أنا بخير».

ومع ذلك، كانت تتظاهر بالشجاعة ورباطة الجأش ولكنها على استعداد للقفز بعيداً عنه في أية لحظة. وعبث النسيم بشعرها، فتطاير كغمامة من الحرير على خده، معطراً ناعماً ودافئاً، وأمسك بقبضة منه متلذذاً بملمسه. كان جسدها الرشيق ملتصقاً به، بكل إغراء الأنثى.

يا إلهي! هذا جنون، أخذ رويس يفكر محاولاً التمسك بالمنطق. لقد استغرق منه التحكم بحياته طويلاً، وإذا به يسقط في المتاهة مرة أخرى، مع كاترينا راسل، المربية الجديدة التي ما إن تتزن لحظة، حتى تعود في اللحظة التالية فتاة صغيرة مذعورة.

انتصبت في وقفتها محاولة أن تمزح: «آسفة كانت لحظة ضعف».

وقع بصره على فمها الذي كان مرسوماً بشكل رائع، وممتلئاً بشكل

مغر. وناداها بجفاء: «لا ضرورة للاعتذار، يا كاترينا. فذلك الحيوان روّعني أنا أيضاً».

وقفت تحت مصباح الشارع، وقد جعل النسيم شعرها متألقاً أشبه بهالة حريرية حول وجهها، والتمعت عيناها بينما صبغ الاحمرار خديها. كانت تبدو بالغة الحيوية زاخرة بالأحاسيس التي تعوّدت أن تفرغها على موسيقاها.

عندما اقترب منها، كان مأخوذاً بجمالها، أخذها بين ذراعيه، متسائلاً عما إذا كانت حياته ستعود طبيعية مرة أخرى.. كانت مشاعره أشبه بكتلة جليدية ضخمة تنحدر مرعدة من قمة جبل شاهق بحيث يستحيل الابتعاد عن طريقها. استنشق عطرها المسكر الذي أحاط به وأمسك بها وهو يتنفس بخشونة، وقال ساخراً من نفسه: «ربما إذا انتهينا من الحلم، يمكننا بعده أن نستقر».

شعرت بدوران من تأثير الصدمة والتوتر. ورفعت إليه وجهاً مسترخياً وكأن جسدها مشحون بالطاقة بينما عقلها شبه مخدّر.

طوال حياتها، أو خلال انتصاراتها البسيطة في حفلات العزف، لم تعرف شيئاً يقاس بهذا.

جذبها بعيداً إلى الظل، ثم ضمها إلى قلبه في عناق دام ودام.. واستسلمت كاري كلياً لسحره.. وعانقها وعانقها حتى كاد قلبها ينفجر من شدة الخفقان ثم أطلق سراحها من السحر الذي غلّفها فيه، وقال بصوت غريب: «نحن الاثنين أردنا ذلك، يا كاترينا، حتى ولو حصل رغماً عنا. وإذا كان في تعهدي بعدم تكرار ذلك أي عزاء، فأنا أعدك بذلك».

كانت ترتجف كالورقة لكنها تمالكت نفسها، قائلة بهدوء: «لا أستطيع مواجهة الأمر».

فقال بنعومة: «وأنا أيضاً».

كان يحاول أن يحلل مشاعره المعقدة فعناقه كان مشابهاً للعاصفة التي تتفجر في داخله.. لقد بذل جهداً كبيراً للسيطرة على نفسه والاذعان

للمنطق إذ لم يكن يرغب في تحريرها منه.

ولكنه فكر في ضعفها خلال هذه الفترة. ومن القسوة أن يسبب لها المتاعب اكثر من ذلك.

***

لم يكن على كاري أن تعتمد على المنبه لأنها استيقظت مع الفجر على شدو طائر كئيب وبسبب تغريد الطيور المتقطع أصبح من المستحيل عليها أن تعود إلى النوم فالأحلام أقلقت نومها وهي كلها تمحورت حول رويس الذي يحتل كيانها. لقد استيقظت في إحدى المرات وقلبها يخفق بعنف، متصورة أنه معها.. لم تعجب كثيراً بالفكرة ولكن ذلك حفزها إلى تناول فطور كبير مكوّن من عصير برتقال، وسلطة فواكه استوائية وقهوة. وعندما قُرع باب غرفتها كانت مستعدة تماماً للرحيل.

فسألها: «هل كل شيء جاهز؟».

شعرت بالارتياح تقريباً وهي ترى نظراته المتألقة تشملها بتجرُّد متفحصاً مظهرها المناسب لرحلة طويلة.

كانت ارتدت ملابس خفيفة ومناسبة، هي عبارة عن قميص كحلي وبنطلون جنز وحذاء كحلي رياضي وربطت شعرها إلى الخلف بسبب الحر.. حذت حذوه في الكلام وكأن شيئاً لم يحدث معهما، فقالت وقد أشارت إلى ثلاث حقائب: «أرجو أن لا اكون أحضرت كثيراً من المتاع».

تظاهر رويس برفع إحدى حقائبها بصعوبة بالغة: «وهل تحمل الأميرة أمتعة أكثر من اللازم؟».

فقالت بقصد المساعدة: «يمكنني أن أحمل واحدة».

قال: «أشكرك على هذه المساعدة القيّمة».

ولوى فمه مازحاً. كان مصمماً على قضاء يوم عطلته بمرح، وعاد يقول: «لا.. يمكنني أن أحملها يا كاترينا دون الاستعانة بالخدم. لديك ثلاث حقائب فقط. سأضع واحدة تحت إبطي».

أخذت تنظر إليه وهو يقوم بذلك برشاقة طالباً منها أن تضع مفتاح

الغرفة على المنضدة وأن تترك الباب مفتوحاً. لقد حاسب الفندق في الليلة السابقة، ثم سألها: «أرجو أن يكون لديكِ قبعة قش عريضة».

قالت وهي تتناول قبعتها عن السرير: «طبعاً».

فتابع: «وكثير من مضادات حروق الشمس؟».

فأجابت: «أنا لا أستغني عنها، كما أنني لم أصب بحروق الشمس».

بعد ذلك بعشر دقائق، كانا يخرجان من المدينة الواسعة إلى الطريق العام. رويس خلف عجلة القيادة وهي إلى جانبه في «الرانج روڤر». بدأت حرارة الشمس تقوى في مثل هذا الوقت. وأخذت تنظر إلى المراعي المنبسطة الممتدة من الطريق العام نحو سلسلة الجبال، والشريط الساحلي الأخضر يطل على البحر المتماوج.

سألته بعدما قطعا عدة كيلومترات: «أتمانع في أن أفتح النافذة؟».

فسألها: «هل تصابين بدوار السيارات؟ أم أن المكيف يضايقك؟».

فأجابت: «لا شيء من هذا القبيل. أريد فقط أن أشم رائحة الأدغال. أحب رائحة الصمغ الملتصق بأوراق الشجر عند الظهيرة».

أنزل الزجاج لفترة قصيرة فقط لئلا يحدث تيار هواء، سامحاً لنسيم الصباح بأن يدخل.. في الجانب الآخر من المراعي الخضراء، لمحت كاري حيوانات الكانغارو تقفز تحت ظلال الأشجار.

وكانت الرانج روڤر تنطلق بسرعة في رحلة دامت ساعتين لتنتهي بهما في قلب مارامبا. طوال الوقت، كانت كاري تنظر مفتونة إلى الأسوار المرتفعة والمغطاة بالنباتات الوحشية القرمزية مؤلفة دغلاً حقيقياً بأشواكها الخطرة. في حديقة بيتها مجموعة من هذه النباتات المتنوعة ما بين الذهبي الوردي والقرمزي، الصارخ ولكنها لم تكن بمثل هذا العلو.

وقالت مشيرة إلى قصيدة لشاعر أسترالي شهير يعدد فيها مزايا وطنه: «إنها حقاً تبدو كالنباتات المذكورة في تلك القصيدة».

أومأ بدوره: «هذا صحيح وخاصة في مثل هذا الوقت من النهار. لا أظن أن بإمكان أي كان أن ينافس هذه المنطقة بروعتها ولونها الصلصالي

البدائي. هل ذهبت قط إلى «ألورا» و «أولغاس»؟».

هزت رأسها بأسف قائلة: «إنها بعيدة حتى بالنسبة إلى الأستراليين! كنت أدرس معظم حياتي فلم يتسن لدي وقت لذلك، ولكنني متلهفة إلى الذهاب».

أشار قائلاً: «سماء متألقة، وبحر فيروزي وشمس ساطعة تحرق من لا يقوى عليها. إنها روعة الطبيعة تتجلّى في أوائل فصل الأمطار الذي سيبدأ بعد نحو شهر، فتزهر الأدغال، وفي مثل هذا الوقت قد ترغبين في التمتع بشراب بارد والجلوس امام الحديقة. هل تحسنين ركوب الخيل، بالمناسبة؟».

أجابت: «لم أفعل منذ حوالى العامين ولكنني تعلمت ذلك بشكل جيد. فقد كان أبي حريصاً على أن أتعلم، ككل الأولاد الذين عرفتهم، فكل اصدقائي، ينتمون إلى نادي الفروسية».

أطلق ضحكة خافتة: «حسناً، لقد أرحتني في هذه الناحية على الأقل. في وقت ما، فكرت بجد في الالتحاق بفرقة الفرسان الاسترالية للأولمبياد، وقد ربحت عدة تذكارات إذ كنت فارساً جيداً كما قُدمت إلي بعض العروض حين كان ابي على قيد الحياة ولكن أحلامي تغيرّتْ مع أننا ما زلنا نستعمل الخيول لرعي المواشي. الخيل رفيقتنا في البراري».

وافقته بالقول: «لن أناقشك في هذا لأنها مخلوقات رائعة. أعشق الخيول المتجاوبة مع الإيقاع وأعتبرها ذكية حتماً».

وأصبح الحديث مفعماً بالحيوية وهما يستعيدان قصص الخيل.

سألها أخيراً: «إذن فأنت لم تكتئبي طوال الوقت لخسارة مهنتك؟».

اعترفت قائلة: «في الساعات التي أمضيها خارج المنزل، أنسى حادث اصطدامي».

التفت إليها: «لقد أخرجتك من بيئتك الآمنة إلى الأدغال البرية ورغم أن مارامبا ليست معزولة، إلا أنها منقطعة عن كل مباهج ونشاطات المدن. ستتلهفين إلى كثير من الأشياء التي تعودت عليها».

فقالت باختصار: «سأعتاد ذلك».

ردّ بخشونة: «ستكونين مضطرة فأنا رجل مشغول جداً ولا أعرف كيف أتصرف مع مربية مثلك».

فقالت باحتجاج: «مربية؟ رباه... أنا لن ازعجك بشيء».

لم يحاول أن يخفي قلقه فقال: «ريجينا فتاة صغيرة رائعة... مليئة بالحيوية. ولكن، كما سبق أن أخبرتك، هي «عفريتة» نوعاً ما، تحتال للاختباء في أماكن غريبة.. وهي قادرة على أن تجد أماكن لا يمكن أن تخطر ببال أحد حتى أنا. فأنا لا يمكن أن اقوم بمراقبتها، وجدتي تعاني من التهاب المفاصل. فتبقى اياماً في الفراش ولدينا امرأة جيدة من السكان الاصليين اسمها «جادا» متزوجة من كبير مربي الماشية عندنا وهي تهتم شخصياً بجدتي. ولكنها عاجزة أيضاً عن مساعدة ريجينا. أما زوجة عمي فهي لا تحب الأطفال، بل لم تشأ أن تنجب أطفالاً. وأم ريجينا لم تعد موجودة. مديرة منزلنا، السيدة «غينزفورد» تدير المنزل وكأنه فندق بخمس نجوم. إنها شخص كفؤ ولكنها ليست لطيفة أو حنوناً، وهي تبذل جهداً للتحكم بطباع ريجينا الحادة ولكنها تغالي نوعاً ما ولست بحاجة إلى القول بأنهما غير منسجمتين».

فقالت كاري: «كما أنها لم تكن بالغة اللطف معي أنا أيضاً».

فسألها: «أتعنين أنها لم تصدق أنك أرسلت إلينا خبراً؟».

فأجابت: «هذا ما أعنيه».

فقال: «قد تكون ريجينا هي التي أخرجت الرسالة من الفاكس لمجرد العبث».

فسألته بدهشة: «أتعني أن ريجينا كبيرة إلى حدٍ أن تفتح فيه الفاكس وتخرج رسالتي منه؟».

فتأوه: «ريجينا في السادسة ولكنها تبدو أكبر بكثير وأنا أحبها كثيراً».

رغم أن لهجته كانت مخلصة للغاية إلا أنها بدت في اذن كاري غريبة نوعاً ما. فقالت: «هذا هو المفروض، ومن غير الأب يحب ابنته؟».

فقال بلهجة غامضة: «ستعلمين عندما يحين الأوان. اما اليوم فأنت هي المسؤلة عنها وهي بالمناسبة عديمة الشهية».

فقالت: «هكذا إذن. أخبرني الآن بكل شيء».

فقال: «إنها تنقد كل شيء كالطائر. تكره أكثر أنواع الطعام وتنثر الأشياء في كل مكان، مصابة بالعناد وتفتعل دوماً من وجبة الطعام مأساة... عدا ذلك هي طفلة رائعة».

لم يثبّط ذلك من عزيمة كاري، وعلى كل حال، ليست سوى طفلة بحاجة إلى الحب والتفهم.

قالت ببساطة: «عليّ أولا أن أعرف ما الذي تحبه. أريد أن أسألك شيئاً واحداً».

التفتت تنظر إليه، ففتنتها بشرته البرونزية وعيناه السوداوان. ألقى عليها نظرة متألقة: «قولي ما عندك».

سألته بهدوء: «هل أخبرت أي إنسان عن ماضيّ، وأنني كنت سأسافر إلى نيويورك للدراسة؟ وعن حادث الاصطدام؟».

فأجاب: «جدتي فقط. أخبرتها بذلك سراً وهي ستكتم الخبر في نفسها. أنت حرّة في أن تقومي بما تريدين يا كاترينا. أعلمت جميع أفراد الأسرة بأن محاميّ الموثوق به هو الذي أختارك».

فقالت: «حسناً، لا أريد أن أتحدث عن حادثتي، هل تفهمني؟».

فقال بشيء من الرقة: «كما تشائين ولكنك ستكشفين كل الأمور يوماً ما».

* * *

٥ ـ البحث عن ريجينا

تمتد الطريق إلى مرتفعات مارامبا، من الساحل انطلاقاً في الاتجاه الشمالي الغربي، صعوداً إلى المرتفعات المغطاة بالغابات الكثيفة وفكرت كاري وهي تسير فيها أنها لم تشاهد منظراً بهذا الجمال في حياتها.. وهناك في البعيد كان البحر الفيروزي يتلألأ، والجزر البعيدة تقبع هاجعة.. وكانت المراعي الفسيحة البالغة الخصوبة تبدو لامتناهية، فيها الأبقار ترعى أمام البحيرات الكثيرة المالحة المنفصلة عن البحر.. ولكم افتتنت كاري بأسراب الأوز والبط والبجع وطيور اللقلق، وأسراب طيور العقعق.

عندما تابعا إلى داخل المركز، رأيا سرباً كبيراً من الطيور تنهض فجأة عن وجه الماء وتنتشر في الجوّ بأعدادها الهائلة.

ارادت أن تسأل رويس ماكويلان عن أسمائها عندما تكلم وهو يشير بيده: «لقد ظهرت المباني التابعة للمنزل. هناك مبنى لكل شيء تقريباً. بيوت المستخدمين وبيوت العمال البسيطة إلى هذه الناحية، المبنى الأزرق مخصص للتمارين الرياضية واستراحة الرجال. أما البيت الكبير الريفي فلا يمكنك رؤيته إلا حين نصبح أمامه، حدائق المنزل في بعض الأنحاء قد تحولت إلى دغل، وعليّ أن أحضر من يصلح ذلك، وبالقرب من المنزل ثمة غابة. عليّ أن أحذرك من الأفاعي وإذا ساء حظك ودست على واحدة..».

هز كتفيه بحركة ذات معنى. فقالت: «سأراقب مواطىء قدميّ».

اجتازا المباني الملحقة، فأبطأ رويس في القيادة، وهو يوضح لها: «نحن في حدائق المنزل الآن».

بقيت كاري صامتة، للحظة، وهي تفكر في أنها تبدو غابة ساحرة أكثر منها حدائق. نظرت من النافذة، مذهولة باتساعها ومندهشة بمختلف أنواع النباتات الموجودة فيها.

وإذا بالمنزل يبدو أمامهما فجأة.

كان أضخم حجماً مما تصورته في الصورة التي أرتها إياها ميليسا. إنه منزل استوائي فخم مبنيّ من أخشاب أشجار ضخمة داكنة اللون ينسجم تماماً مع محيطه. كان مؤلفاً من طابقين تحيط به «فيراندا» من كل الجهات، عرضها يبلغ أربعة أمتار على الأقل. كان بالغ المهابة والجمال، أمامه بحيرة تحيط بها الأعشاب والنباتات المائية، منها الزنابق الزرقاء. وكان هناك زورق صغير بين القصب».

هتفت: «يا له من مكان رائع للعيش! إنه اشبه بشيء من قصة لسمرست موم».

لقد أحبت كل هذه المناظر المحدقة بالمنزل وما توحي به من سكون وهدوء.

نظر إليها، مسروراً بمشاعرها هذه: «هذا هو الهدف يا كاترينا، وبالمناسبة، هذا ليس المنزل الأصلي، لأنه تحطم أثناء إعصار منذ عدة سنوات. أما هذا فهو ضد الأعاصير، كما نرجو، وقد بناه جدي الذي كان يسافر كثيراً إلى جنوب شرق آسيا».

فقالت بإعجاب: «إنه مملكتك الخاصة».

فقال: «هذا صحيح».

قالها بصوت ممزوج بالفرح والحزن.

في المنزل، وجدا الوضع معقداً. لقد اخبروا رويس حالما وضع قدمه على «الفيراندا» بأن ريجينا قد اختفت.

كانت السيدة «غينزفورد» مدبرة المنزل، وهي امرأة نحيلة الوجه

والجسم تبدو منهكة للغاية. حاولت أن توضح الأمر، ولكنها لم تنظر قط باتجاه كاري، لا. إنه «السيد» وهو وحده ذو الأهمية.

انفجرت تقول: «لقد قمت بكل ما في وسعي، يا سيد ماكويلان، لكي تكون ريجينا هنا عند وصولك. كنت أهنىء نفسي لأنني ربحت المعركة. وإذا بي اكتشف، منذ نصف ساعة، أن ريجينا لا أثر لها في المنزل وهذا ما جعلني أشعر أنني حمقاء وعاجزة للغاية»

قالت هذا بحرارة، مستعدة لوضع اللوم على طفلة في السادسة فقال رويس لها ساخراً: «حاولي أن تنسي الأمر. فأنا اعلم أنك تبذلين جهدك، يا سيدة غينزفورد».

ثم التفت إلى كاري.

ـ هذه مربيتنا الجديدة، كاترينا راسل، وستكون مسؤولة عن ريجينا مستقبلاً.

فقالت المرأة: «هذا رائع. لقد جهزت لك غرفتك وسآخذك إليها».

ولكن لم يبد على وجهها أنها تصدق بأن كاري ستنجح حيث أخفقت هي.

شكرتها كاري باسمة قبل أن تخاطب رويس قائلة: «هل تقترح عليّ البحث عن... ريجينا؟».

فقال بجفاء: «ستخرج من مخبئها حالما تكون مستعدة لذلك، وسيكون عليها أن تدلي بتصريح أكثر تفصيلاً من العادة، ولكن إذا لم تأت في موعد الغداء، فسيكون علينا أن نؤلف جماعة صغيرة للتفتيش عنها».

عادت مدبرة المنزل تنفجر قائلة: «كما أنها لم تأكل لقمة واحدة في الفطور، آسفة يا سيد ماكويلان، لكن الرعب يتملكني مما يمكن أن تكون ريجينا تخبىء من صدمات».

ربما لم تكن هذه لحظة مناسبة، لكن كاري انفجرت ضاحكة... ضحكة سرعان ما خنقتها إزاء النظرات الباردة التي انصبت عليها. فكرت كاري في انها المرأة التي عليها أن تعمل معها، وتملكها شعور أكيد بأنها

لن تنسجم ابداً مع مدبرة المنزل هذه.

سأل رويس مدبرة المنزل بشيء من الاهتمام: «وأين السيدة ماكويلان؟».

سؤاله هذا أرسل قشعريرة في جسد كاري. فقد ظنت للحظة أنه يسأل عن زوجته.

ونادى صوت بلهجة ذات معنى: «هنا، يا رويس!».

كانت امرأة فاتنة، في اواخر الثلاثينات من العمر، شعرها الأشقر القصير مقصوص بشكل أنيق ذات بشرة لونتها الشمس وعينين زرقاوين بالغتي التألق.. تقدمت وهي تمنح سيد البيت ابتسامة مثيرة للاستفزاز إلى حد غريب:

ـ أردت أن اكون هنا عند وصولك، لكنني كنت أبحث عن ريجينا. لا أحد يستطيع منع ريجينا من الاختباء وأظن أن هذه هي المربية الجديدة؟.

وتحولت إلى كاري.

مقدار ضئيل جداً... من... دهشة؟... ليس مودة بكل تأكيد. إن في عينيها نظرة غاضبة لا بد اكتسبتها من شارون ماكويلان.

قالت المرأة وهي تتقدم نحوها منتعلة حذاء عالياً: «يا عزيزتي، هذا افضل وقت تقبلين فيه».

وفي آخر لحظة وقفت أمام رويس ورفعت رأسها لتطبع قبلة على خده طالت اكثر من اللازم، متابعة: «أهلا بك في منزلك يا رويس، لقد اشتقت لك».

أخفض نظره إلى وجهها المرفوع إليه: «من عدة ساعات غبتها؟».

في أذني كاري الحادتي السمع، كانت لهجته حادة ولكن يبدو أن لندسي ماكويلان، وجدت متعة في هذا.

عرفهما على بعضهما البعض. ووجدت كاري نفسها معرضة إلى مزيد من التفحص الحاد.

سألتها لندسي ماكويلان: «أظن أن جايمس هاليداي رشحك لهذه

الوظيفة. لم أسمع بمؤهلاتك بالضبط؟».

لم تضطرب كاري بالرغم من أن لندسي كرهتها من أول نظرة.

أجابت بأدب: «مؤهلاتي تفي بالمطلوب، يا سيدة ماكويلان».

نظرت إليها المرأة وكأنها لا تريد أن تترك الأمر عند هذا الحد، وقالت: «حسناً، سنرى. لم يكن عمل مربيات ريجينا جيداً في الماضي».

فقال لها رويس: «ربما كان لديك يد في هذا، يا «لين» وأرجو أن تمنحي كاترينا عونك».

ابتسمت له بتلك الطريقة الحميمة المنذرة بالسوء وكأنها تريد القول: ليس أنا.. لا طاقة لدي.

لكنها قالت: «آه، نعم، حتماً سأفعل».

«سأفعل» ووجهت نظراتها إلى كاري قائلة: «اسأليني عن كل ما تريدين أن تعرفيه».

ونظرت إلى اسم المصمم المطبوع على قميص كاري المقفل الغالي الثمن وبدا عليها عدم الارتياح.

وشكرتها كاري، بينما قال رويس فجأة: «أين جدتي؟».

بدا لكاري وكأنه لا يريد أن يتركها وحدها مع زوجة عمة المتألقة. وعندما لم تجب لندسي، قالت مدبرة المنزل: «تأخذ قسطاً من الراحة فقد كانت متوعكة هذا النهار. سترى السيدة الشابة فيما بعد».

نظر رويس إلى كاري مشجعاً: «حسناً، يا كاري، سأتركك لكي ترتاحي، لأن لدي عملاً أقوم به».

أجابت: «هذا حسن. سأكون بأحسن حال».

وكاد صوت لندسي يخفي صوتها وهي تهتف بذعر قائلة لرويس: «ولكن لا بد أنك بحاجة إلى فنجان قهوة، يا رويس. أريد أن أخبرك بكل شيء عن مكالمة هاتفية تلقيتها من «إينا»».

تصلب وجهه وأجاب على الفور: «فيما بعد. وإذا لم تظهر ريجينا خلال ساعة أو نحوها، أخبريني».

انطلق رويس، وسمعن صوته وهو يقول لشخص بأن يدخل أمتعة كاري إلى المنزل.

قالت مدبرة المنزل: «تعالي من هذه الناحية، يا آنسة راسل».

قالت كاري باسمة: «قولي كاري، أرجوك».

فقالت لندسي باحتقار: «أما أنا فأفضل أن ادعوك الآنسة راسل إذا لم يكن لديك مانع».

فابتسمت كاري: «هذا يجعلني أبدو شخصية هامة جداً».

فقالت مدبرة المنزل مزمومة الشفتين: «عليك أن تكوني شخصية هامة لكي تتمكني من السيطرة على ريجينا، ليس لديها أم! وهذا ظاهر بشكل مفزع. السيد ماكويلان رجل رائع، وفي غاية الأهمية، وما كان ينبغي أن يحمل كل هذا الهم».

قالت كاري بشكل مسالم: «أنت توفرين عليه الكثير من المهمات بكفاءتك. لقد أخبرني بأنك تديرين المنزل بشكل منتظم».

وأنتج هذا ردة فعل فورية. احمرار قاتم في ذلك الوجه المتصلب وهي تبتسم: «هل قال ذلك الآن؟».

أجابت: «بكل تأكيد، لا بد أنه ممتن لإدارة منزله بهذه الكفاءة».

قالت السيدة «غينز فورد» بتأثر بالغ: «إنه سيد رائع وكامل. والعمل عند شخص مثله هو شيء جميل».

ولم تستطع كاري إلا أن توافقها.

الغرفة التي خصصت لها كانت أكبر مما توقعت.. كانت فسيحة للغاية، ربما أوسع من غرفتها في بيتها بثلاث مرات.

في وسط الغرفة يوجد سرير رائع من خشب الساج، ذو أعمدة دقيقة الصنع فوقها كلة بيضاء ضد البرغش، كما كان هناك كرسيان من خشب الساج المحفور ومنضدة من نفس النوع عليها أزهار منسّقة باتقان، وكانت هناك خزانة في الجدار فيها مجموعة من الخزف الصيني الأزرق والأبيض، وكرسي مريح بذراعين وكذلك أريكة شرقية ومرآة هندية الزخرفة وفي

إحدى الزوايا خزانة كتب.

قالت والسرور يطفح من عينيها: «آه، سأحب الإقامة هنا».

قالت مدبرة المنزل: «هذا لا يدهشني.. هذه الغرفة لم تمنح لأي من المربيات الأخريات، لكن هذه أوامر السيد ماكويلان».

قالت وهي تسير على السجادة العجمية: «ألست محظوظة جداً؟».

فقالت المرأة: «وأنت كذلك حقاً. هنا بعض الأشياء الثمينة حقاً، كل ذلك التطريز على ملاءات السرير صنع باليد، كما ترين».

فقالت كاري: «هذا جميل سأحافظ عليه».

قالت المرأة: «أنا اغير الملاءات مرتين أسبوعيا، إحدى البنات عندي ستقوم بالتنظيف. ليس لديك أي عمل منزلي يأخذ وقتك».

فقالت كاري وهي تبتسم للمرأة بسعادة: «شكراً لترحيبك بي. هذه الأزهار بديعة جداً».

نظرت مدبرة المنزل إلى المنضدة حيث كانت زنابق حمراء تتألق بين ثلاثة أوراق خضراء كبيرة في تنسيق غير عادي في الزهرية السيراميك الرائعة. ثم قالت دون حماسة: «جادا هي التي فعلت هذا، ظنت أنها قد تعجبك، السيد ماكويلان سمح لجادا بأن تنسق الأزهار للبيت، وهذا يشغلها حين لا تكون في خدمة السيدة ماكويلان الكبيرة».

فقالت كاري بحذر: «أنا آسفة جداً لأن السيدة ماكويلان ليست حسنة الصحة».

فقالت المرأة: «إنها سيدة رائعة! لا تتذمر أبداً وهي تريد أن تراك عندما تستقرين، وأثناء ذلك ليس لدينا من خيار إلا أن ننتظر ظهور الآنسة ريجينا. تلك الطفلة بحاجة إلى تأديب قبل أي شيء آخر».

إذا كان لكاري أن تنتقد رويس لشيء، فهو موقفه العادي من ابنته. أما كان عليه أن يقول، (أحبها من أعماق قلبي) بدلاً من أن يقول (أنا اهتم بها حقاً). حتى خالها جايمس دوماً يقول لها كم يحبها، وبما أن رويس ماكويلان استعمل كلمة (أهتم) هناك احتمال كبير بأن ريجينا لا تحصل

على حب كافٍ منه...

سارت مدبرة المنزل إلى الباب، وهناك التفتت إلى كاري قائلة إن الغداء يقدم في الساعة الواحدة، وبهذا يمكنها أن تستقر وترتاح من عناء رحلتها: «لا بد أنك قمت بأسفار طويلة أثناء اليومين الماضيين؟».

أجابت كاري باسمة: «بعض الأسفار. الم تجدي الفاكس الذي كنت أرسلته».

قالت المرأة فجأة: «أعتذر إذا كنت شككت بكلامك لأن ريجينا أخذت الفاكس فهي تقوم بأعمال حمقاء، أما الآن، فعليّ أن اخرج. يمكنك أن ترتاحي الآن».

قالت كاري: «أنا واثقة من انني لن أرتاح قبل أن اعرف مكان ريجينا».

قالت مدبرة المنزل باقتضاب: «لن تجديها إذا لم تأت بنفسها.. إنها طفلة، ومع ذلك تسبب الإزعاج كأنها امرأة».

قالت كاري بهدوء: «أرجو أن نصبح، أنا وريجينا، صديقتين حميمتين».

قالت مدبرة المنزل: «أنت تطلبين الكثير يا عزيزتي، هذه التي ستتعاملين معها ليست حبيبة صغيرة، بل هي عفريتة صغيرة».

مرة أخرى، شعرت كاري برغبة في الانفجار في الضحك، طفلة في السادسة تعبث بامرأة قديرة كهذه. وذكرها هذا كيف كانت غليندا تدعوها (الطفلة التي لا يمكن اصلاحها).

* * *

بعد خروج مدبرة المنزل، أخذت كاري تتمشى في الڤيراندا تنظر إلى أسفل.

كانت الردهة فخمة للغاية، سقفها عالٍ بارتفاع المبنى كله.

أخذت ترنم بأغنية هادئة وهي تفتح حقائبها.

كانت كاري متلهفة للتعرف إلى الآنسة ريجينا كويلان. لكن لم يكن

ممكناً أن تتصور أنها ستكون في الخزانة ذات المرآة.

وهكذا قفز قلبها من الصدمة عندما فتحت الباب المزخرف. لأنها لم تتوقع أن ترى فيها فتاة صغيرة، لا يبدو منها سوى ساقين وذراعين في غاية النحول، وكانت عابسة بقسوة ووحشية.

لم تستطع كاري أن تتحدث قبل مرور دقيقة كاملة: «يا إلهي! يا «ريغي»... كدت أموت خوفاً».

فأجابت الطفلة بانتصار: «هذا عظيم، لا يستطيع أحد أن يعثر عليّ».

فسألتها كاري: «أتعنين أنك كنت هنا طوال الوقت؟».

ألقت عليها ريجينا نظرة اشمئزاز: «أنا هنا فقط منذ بدأت إثيل تتفقدني لتتأكد من أنني موجودة. ذلك هو اسمها... «إثيل غينرفورد».

وأخذت تضحك.

مدّت كاري يدها لها تسألها: «هل ستخرجين؟ أريد أن أعلق ملابسي. يمكنك أن تساعديني إذا شئت».

قفزت ريجينا خارجة، متجاهلة يد كاري الممدودة وهي تقول: «ولماذا افعل هذا؟ المفروض أن تفعليه أنت».

فقالت كاري: «لا بأس، قد تخسرين الهدية التي أحضرتها لك. إنها في الحقيبة مع ملابسي».

لوت ريجينا قسمات وجهها العادية الجمال، كيف يمكن أن تكون عادية بهذا الشكل ووالداها يتمتعان بجمال فائق.

سألتها: «ولماذا أحضرت لي هدية؟».

فأجابت كاري ببشاشة: «لماذا؟ للاحتفال بتعارفنا، وماذا غير ذلك؟ أنا مسرورة جداً بمعرفتك يا ريجينا. فقد سمعت الكثير عنك».

قالت الطفلة: «أراهن على ذلك».

سألتها ريجينا وهي تنظر إلى شعرها القريب من اللهب: «ماذا ناديتني حين فتحت عليّ باب الخزانة».

أجابت كاري: «سأحاول أن أتذكر... ؟؟».

قالت الطفلة: «كان الاسم «ريغي»، أنت دعوتني «ريغي».

فقالت كاري: «لن أدعوك به إذا كان لا يعجبك».

فقالت الطفلة: «بلى يعجبني».

كانت ترتدي «شورت» وقميصاً مقفلاً بسيطاً. وفجأة قفزت إلى الكرسي ذات الذراعين وجلست عليه، وهي تتابع حديثها: «لا بد أنك علمت بأنني أتمنى لو كنت صبياً».

تملك كاري الاستياء لذلك، وسألتها: «ولماذا تتمنين لو كنت صبياً؟».

ثم ابتدأت تعلق ثيابها فقالت الطفلة وهي تقف دون وعي منها وتناول كاري ثوباً آخر: «كان رويس سيحب ذلك، لأنه يريد ابناً».

استدارت كاري تنظر إليها: «لا بأس، هو يريد ابناً، وكذلك يريد ابنة، يا «ريغي». هل دعوت أباك «رويس»؟».

فهزت ريجينا كتفيها: «طبعاً. إنه لا يمانع في ذلك، وأظنه يحب هذا، وأنا احبه جداً، فهو أفضل أب في العالم وستعرفين ذلك يوماً ما، لكن أمي تكرهني، وهذه هي الحقيقة».

احتجت كاري بانزعاج: «لا يا «ريغي». لا تظني هذا، حتى ولا لحظة واحدة».

فقالت ريجينا: «إنها ام فظيعة، فهي لا تأتي لرؤيتي أبداً... أبداً. إنها لا تفكر أبداً في أن ترسل إلي هدية. اين هديتك، على كل حال؟».

لقد تحوّل حنقها إلى فضول.

أجابت كاري: «في قاع حقيبة الملابس. وهي ملفوفة».

فقالت ريجينا: «أرجو أن لا تكون دمية».

وبدا عليها وكأنها ستحرقها إذا كانت كذلك.

- إذا كانت دمية سأشتم. أنا أعرف الكثير من الشتائم. انني أسمعها من الرجال.

فقالت كاري تطمئنها: «إنها ليست دمية يا ريغي. أتعلمين أن هناك

عبارات كثيرة يمكنك استعمالها بجانب الشتائم؟».

فأجابت ريجينا: «بكل تأكيد، ويمكنني أن استعملها إذا شئت فأنا أعرف القراءة».

قالت كاري بلهجة تقرير الواقع: «أنا واثقة من أنك تعرفين. أتحبين قصص «هاري بوتر»؟».

كانت ريجينا مشغولة ببعثرة ملابس كاري المطوية بعناية، فقالت ببطء: «لو أستطيع أن أجد من يشتري لي قصة منها».

جلست كاري على السرير وقالت: «حسناً، أنت محظوظة، لقد أحضرت معي بعضاً منها. ويمكننا أن نقرأها معاً».

نظرت إليها ريجينا ذاهلة: «لماذا أنت لطيفة معي بهذا الشكل؟».

ابتسمت كاري في العينين الزرقاوين الكبيرتين: «فلنقل إنها صداقة. أريد أن نصبح صديقتين يا ريغي، أريد ذلك كثيراً».

مضت لحظة بدت فيها الطفلة مسرورة، صغيرة ناعمة وضعيفة. ثم أومأت عابسة: «أنت فقط تلاحقين رويس، كلهن كذلك، لندسي تقول إن ليس هناك امرأة لا تريد أن تخطفه».

فقالت كاري: «أنت تمزحين. هل أخبرتك هي بذلك؟».

فقالت ريجينا: «لا أحد يخبرني بشيء، لكنني أجد طريقة للتنصت. لندسي لا تحبني هي أيضاً. لقد أخبرت رويس أنني سحبت الفاكس الذي أرسلته أنت».

فسألتها كاري ببساطة: «وهل فعلت أنت ذلك؟».

فحملقت ريجينا فيها: «لا. لم أفعل. أنا لا أكذب، ولم أكذب قط».

فهزت كاري كتفيها: «أنا أصدقك».

قالت ريجينا بشيء من التلذذ: «المربيات الاخريات كن شريرات».

فقالت كاري باحتجاج: «هذا يصعب تصديقه، يا ريغي».

فقالت ريجينا: «أنت لا تعرفين كيف كن يتصرفن. لقد وقعن في

غرام رويس بجنون. واكثر من ذلك».

اقتربت من كاري تفضي إليها بالسر.

ـ ولندسي تحبه أيضاً.

فقالت كاري: «ريغي. لا يمكنك أن تقولي شيئاً كهذا».

فقالت ريجينا: «أنا لم أقل هذا، بل «إينا» هي التي قالت. أنت لا تعرفين خالتي «إينا». إنها تقول كل شيء!».

قالت لتحوّل اهتمام الطفلة من هذا الحديث: «والآن، دعيني أبحث لك عن الهدية».

وكانت ريجينا ما زالت تبعثر محتويات الحقيبة عندما عثرت كاري على الهدية وناولتها لها. فنظرت ريجينا إليها وقد غلبتها المشاعر، وسألتها: «ما هي؟».

فأجابت: «لن أخبرك. إنها مفاجأة».

فقالت ريجينا: «اسمعي. أنا لن أخبر أحداً. لكنني أحبك، فأنت جميلة جداً. كل ما أرجوه هو ألا تعشقي رويس».

عند ذلك قالت كاري بجد، لتمحو الفكرة من رأس الطفلة: «ريغي، أنا هنا لأكون صديقتك».

فسألتها ريجينا: «كيف أصبحت مربية إذن؟ الإثنتان الأخريان لم تهتما بي».

كانت ريجينا، أثناء كلامها، تفتح الهدية الملفوفة مفكرة. وبدت الحيرة على وجهها وهي ترى صندوقاً ذهبياً لامعاً. وقالت: «لا يمكنني أن أخمن ما هي».

ثم فتحت الغطاء. وعلى الفور، قفز من الصندوق مهرّج ذو وجه مصبوغ بألوان مشرقة، ويلبس قميص نوم منقطاً وعلى رأسه طاقية نوم مشرقة تناسبه، ورأسه ينتفض، وهو يلوّح بذراعيه ويدير رأسه من جانب إلى آخر.

أجفلت الطفلة ثم أخذت تضحك، وامتلأت عيناها الكبيرتان

المحملقتان بالسرور: «أليس هذا شيئاً ظريفاً للغاية؟ وملابس النوم هذه أليست جميلة جداً؟».

وأخذت ترتب ملابس المهرج بإصبعها.

فقالت كاري: «أنا مسرورة جداً لأن الهدية أعجبتك يا ريغي».

كانت مسرورة حقاً، فقد أمضت وقتاً طويلاً في اختيارها.

بدت ريجينا هادئة رقيقة إلى حد جعل كاري تغامر بأن تسألها: «ألا تظنين أن من الأفضل أن نخبر السيدة «غينزفورد» أنني عثرت عليك».

أخذت ريجينا تلوّح بذراعيها تقلّد المهرج تماماً: «وهل يجب أن تخبريها؟».

فأجابت: «كلهم قلقون عليك، هذه هي المشكلة».

فقالت ريجينا دون اقتناع: «اختبأت مرات كثيرة من قبل، وقد اعتادوا على الفكرة».

قالت كاري وهي ترى في ذلك طريقة ريجينا في اجتذاب الانتباه: «كما تريدينهم أن يفعلوا؟».

فاعترفت الطفلة قائلة وهي تلّمع انف المهرج: «نعم. وما كنت ستعثرين عليّ. أردت أن اتعرّف إليك. قال رويس إنك ذكّرته بصورة الفتاة المعلقة في الطابق الأسفل، المفروض أن تكون الصورة مسكونة بالأرواح».

وضحكت بصوت خافت، فسألتها كاري: «وماذا تفعل الأرواح؟ تحدث ضجة أم تقفز رأساً على عقب في الإطار؟».

فضحكت ريجينا: «لا أعرف بالضبط... لكنني عندما حاولت أن ألمسها اخبرتني لندسي بأنها مسكونة».

كانتا جالستين على السرير تلعبان بالمهرج، عندما مالت ريجينا نحوها تهمس لها: «لا تلتفتي الآن، لكن لندسي خلفك».

فقالت كاري دون أن تعبأ بأن تلتفت: «هذا غير ممكن».

فأجابت ريجينا: «بل هي كذلك».

كانت كاري تتساءل إذا كانت الطفلة جادة، حتى تكلمت لندسي بصوت لاذع حاد كقرقعة السوط مخاطبة كاري، التي قفزت مجفلة عن السرير، وفي عينيها نظرة عنيفة كفيلة بأن تهز اكثر المربيات حتى الأعماق: «هذا عمل غير مقبول أبداً».

استدارت كاري تواجه المرأة الأكبر سناً مباشرة: «أنا آسفة جداً يا سيدة ماكويلان، كنا، أنا «وريغي»، سننزل الآن إلى الطابق الأسفل».

ظهرت على وجه لندسي تعابير مختلفة وهي تقول: «ريغي، هل هذا مفروض أن يكون لقباً. هذا لن يعجب الأسرة، أنا شخصياً أكره اختصار الأسماء».

فقالت ريجينا وهي تقف بحزم بجانب كاري: «حسناً، أنا لا أكره ذلك، إنه اسمي وأنا أحبه. وعلى كل حال، رويس يدعوك «لين» أليس الشيء نفسه؟».

فقالت لندسي محذرة غاضبة لقلة أدب الطفلة: «هذا يكفي أيتها السيدة الصغيرة. جعلت أهل المنزل، بمن فيهم والدك، يقلقون عليك، بينما أنت ومربيتك الجديدة...».

وألقت على كاري نظرة حاقدة أخرى: «تجلسان هنا بهدوء تعبثان بلعبة».

أجابت كاري محتجة: «إنها مجرد لحظات، يا سيدة ماكويلان».

بدا على المرأة وكأنها تريد أن تجلدهما معاً وهي تقول: «هذا انعدام المسؤولية. إذا لم تحسني التصرف فسأنصح رويس أن يعيدك من حيث اتيت».

فقالت ريجينا بسخط: «أنت لست الرئيسة هنا. أنا أكرهك».

كان جواب لندسي أن القت نظرة إلى كاري وقالت باشمئزاز: «هذه الطفلة مريضة بالأعصاب».

فصرخت ريجينا باكية وهي تندفع إلى الفيراندا: «أنت كاذبة».

خرجت كاري خلف الطفلة، غير آبهة بلندسي وأخذتها بين ذراعيها:

«أمسكتك».

الصراخ والبكاء تحولا إلى قهقهة وضحك، وابتدأت الصغيرة عراكاً ساخراً مع كاري التي حاولت أن تغلبها. وصرخت ريجينا وهي تضحك بشدة: «أريد الشرطة حالاً».

فقالت كاري: «أنا الشرطة».

فقالت ريجينا: «أريني شارتك. أين هي؟».

أجابت كاري: «إنها مع والدك فهي موضوعة مع أوراقي المهنية».

تركت ريجينا اللعب فجأة، وقالت: «لندسي المجرمة!».

أطلقت شتيمة ما جعل كاري تمسك بكتفي الصغيرة النحيلتين قائلة: «ريغي، لا يمكنك أن توجهي إليها الشتائم. هذه ليست تصرفات سيدة مهذبة.. عليك أن تحترميها».

فسألتها ريجينا: «لم تعجبني طريقة كلامها معك».

فقالت كاري تحاول أن تجد عذراً: «كانت قلقة».

فتأوهت ريجينا: «لا. لم تكن كذلك».

ردّت كاري: «هل لنا أن ننزل إلى الأسفل ونسوي الأمور».

هزت ريجينا رأسها بخصلات شعرها الخفيفة المتشابكة: «أنا لن أذهب».

ربتت كاري على ذراعها قائلة: «هذا عظيم، سأذهب وحدي».

أمسكت ريجينا بيد كاري قائلة ببشاشة: «حسناً. هل تظنين أنه بامكاني الحصول على هامبرغر للغداء».

حدقت إليها كاري لحظة: «ولم لا؟ أنا أحب الهامبرغر».

فقالت ريجينا: «حسناً لقد طردت من المطبخ آخر مرة طلبت فيها الهامبرغر. المفروض أن «إثيل» هي طاهية بارعة ومع ذلك رفضت أن تطهو لي الهامبرغر، مع البطاطا المقلية. أنا اعشق البطاطا المقلية، واكره الخضار خصوصاً القنبيط وأكره الحبوب للإفطار وأكره البيض».

فقالت كاري: «هذا حسن، فهمت ما تريدين».

وفكرت أن ريجينا لم تكن تأكل جيداً أثناء طفولتها، فتابعت تقول: «لا أدري لماذا لا تقدمين لنفسك شراباً أثناء الفطور. استعملي الخلاّط وأنا واثقة أن السيدة غينرفورد لديها خلاط... موزة مثلاً أو أية فاكهة أخرى، ضعي بعض العسل عليها وزنجبيل، إذا شئت يمكننا أن نجرب. أضيفي بعض الآيس كريم أيضاً. أنت بحاجة إلى أن تتغذي».

أحنت ريجينا رأسها وقالت: «ليس هذا فقط، بل كلهم يظنونني قبيحة».

فسألتها كاري: «من هم».

قالت: «كل الأسرة طبعاً. أمي لم تكن تطيق رؤيتي».

لم تستطع كاري مناقشتها: «هذا صعب حقاً. أتعلمين أن زوجة أبي لم تكن تطيق رؤيتي أيضاً؟».

نظرت ريجينا إلى كاري لتتأكد من صدقها: «أحقاً؟ لا بد أنها حقيرة».

أومأت كاري، برأسها قائلة: «هذا سر بيني وبينك».

أجابت ريجينا لتطمئنها: «لن أخبر أحداً. كيف يمكن لأحد أن يكرهك وأنت بهذا الجمال؟».

فردت كاري عليها: «وكيف يمكن لأحد أن يكرهك وأنت بهذا الذكاء والمهارة؟».

اجابت كاري بسرعة: «لن نكذب على بعضنا وسنتفق على هذا الأمر».

وبسرعة بالغة مدت ريجينا يدها قائلة: «نعم. فلنتفق».

وبهذا الشكل رآهما رويس ماكويلان عندما وصل إلى الڤيراندا. وخلفه لندسي والسيدة غينزفورد وبدا مندهشاً وهو يرى كاري وريجينا وهما تتفقان.. كان المشهد رائعاً. وأخذ يتأملهما مسروراً فمنذ دقائق فقط كانت لندسي ومدبرة المنزل تخبرانه بان المربية الجديدة لا تتمتع بالمؤهلات المطلوبة وها هو الآن يشاهد بإرتياح بالغ نجاحها في كسب

صداقة ريجينا.

من الواضح أن كاترينا قد ضربت وتراً حساساً، فهي ليست من نوع المربيات اللواتي اعتدن على حياة البراري، ولندسي ستكرهها لهذا السبب وحده، وهو الآن هنا في مهمة ثقيلة، لأنه مشمئز للغاية منها. مشمئز من ادعاء «لين» الذي لا يطاق وتدخلها مع المستخدمين بما في ذلك مديرة المنزل الجبانة رغم كفاءتها البالغة.

حيا رويس ريجينا بابتسامة تفيض بالحنان، وألقى نظرة هادئة على كاري، قائلاً لابنته: «مرحباً يا حلوتي، إذن فقد قررت أن تعودي».

فقالت ببهجة: «لقد تحملت ما فيه الكفاية. كنت في خزانة المرايا، وقد أفزعت كاري، وأنا آسفة الآن».

وركضت إلى ابيها وقد بدا على وجهها الصغير المغطى بالنمش مظهر الشغف البالغ، مما حرك قلب كاري الرقيق لدرجة كبيرة، فتوسلت إلى رويس بصمت... احملها... احملها... أنت رجل كبير قوي. و ستكون بين ذراعيك أشبه بريشة صغيرة.. هذه ابنتك قبلها... احتضنها، افعل شيئاً، ولا تقف فقط تعبث بشعرها الأشعث.. واصيبت بخيبة أمل حين لم يفعل ذلك، بل تابع ابتسامته بحرارة لهذا الوجه الصغير غير الجميل.

لم تكن ريجينا تشبه والدها بحسب رأي كاري، لا في ملامحها ولا لونها ولا طول قامتها ولا تشبه والدتها المتألقة.

ورأى رويس نظرتها السافرة فقرأ افكارها بدقة تامة، وكان واضحاً أنها تجده والداً فاشلاً، غير حنون وكان هو كذلك بدون شك، ولكن، بحق الله! هو ليس الأب وكان يبذل جهده ليظهر حنانه، والله وحده يعلم من هو والد ريجينا، إنه واحد من الذين تلتقيهم شارون لليلة واحدة..

لم يعجب رويس ماكويلان نظرة اللوم في عيني كاري الذهبيتين. ومن تكون هي لكي تدينه؟ كان هو وجدّته وجدّي ريجينا وخالتها ابنا فقط الذين يهتمون حقاً بأمر الطفلة. والحقيقة أنه لم يطلع جدته بأن ريجينا ليست

ابنته، مع أنها تشتبه وتشك في الأمر. لقد زال حبه لشارون سريعاً، لكنه بقي مستعداً للوفاء بعهوده الزوجية، إلى أن أخبرته بانتصار حاقد بأن ريجينا ليست ابنته. والآن تأتي هذه المرأة الفتية، التي تحيط بها هالة متألقة، تدينه وتعتبره مذنباً، لقد آلمه ذلك وأغضبه ونسف احترامه لنفسه.

أعاد رويس إلى حاضره يد ريجينا التي كانت تشده: «دعتني كاري «ريغي». ما هو رأيك بذلك؟».

قال يغيظها: «ريغي هو اسم صبي».

قالت له بحزن: «وأنت تريد مني أن اكون صبياً، أليس كذلك!».

فقال: «يا له من سؤال مزعج».

وحملها الآن وأخذ يؤرجحها حوله، ويدور بها ويدور إلى أن صرخت ريجينا عالياً، ثم قال لها: «إياك القول بأنني غير سعيد معك، كما أنت، يا ريغي. أظن أنه يناسبك شيء من المرح. وهناك شيء آخر، أيتها السيدة الصغيرة... عليك أن تسمني قليلاً».

احتضنته ريغي، هامسة في وجهه: «تقول كاري إنه بإمكاني أن أصنع فطوري بنفسي. موزة مهروسة مع الآيس كريم».

فقال دون تفكير: «هذا فقط؟».

فتدخلت كاري قائلة: «وكأس حليب، أخبرتني ريغي أنها لا تحب الحبوب ولا البيض؟؟».

فقالت مديرة المنزل باحتجاج: «لا أستطيع قبول طفلة في مطبخي، وقد يحدث لريجينا سوء ولا أدري ما الذي تفكر فيه الآنسة راسل».

فقالت لندسي بتكاسل: «يبدو أنها تحاول التزلف. ولا بد انك تتحدثين عن استعمال خلاّط».

ونظرت إلى كاري بتحدٍ: «ريجينا أصغر من أن تستعمل الأجهزة، وكنت أظنك تعرفين ذلك».

فقالت كاري: «سأكون معها في المطبخ وهكذا لن يكون ثمة مشكلة».

رغم أن لندسي ماكويلان تبدو فاتنة إلا أن كاري وجدتها امرأة فظيعة.

وقالت مدبرة المنزل بصوتها الحاد العالي: «أفضل عدم حدوث ذلك، سيد ماكويلان».

لم يكن بإمكانها اخفاء شعورها للتطفل بعملها لكن رويس ماكويلان التفت إليها قائلاً بنعومة: «أنا لا يهمني إلا أن تأكل ريغي وتتغذى».

فقالت ريغي: «أيمكنني حقاً؟».

كانت مسرورة ضاحكة.

فقال: «حسناً، لن نجعل هذا نظاماً دائماً».

فقالت بابتسامة مشرقة: «أنت تمزح معي».

أجاب: «الآنسة راسل هي الرئيسة».

فهزت ريغي رأسها: «لا، اسمع. اسمها كاري. وهو مختصر كاترينا، أليس هذا جميلاً؟».

نظر رويس إلى كاري من فوق رأس الطفلة: «أنا اعلم أن هذه الفكرة الجديدة لن تسبب للسيدة غينزفورد أية مشكلة».

فقالت بثقة مدركة مزاجه المتوتر نحوها: «أنا واثقة من أننا سنجيد التصرف. وأظن المطبخ فسيحاً».

نظرت لندسي إليها بحدة وقالت: «لا تظني أنني لا أعرف ما تفعلينه. ولكن أتمنى لك حظاً سعيداً على كل حال. لا أريد أن أكون موجودة بقرب ريجينا عندما تُسقط الأطباق منها وتتحطم».

أغضب هذا الكرم الطفلة، فصرخت باكية: «حقيرة... حقيرة حقيرة... أنت تؤذينني دوماً».

فقالت لندسي بسخرية: «هذا جميل!».

أمسكت كاري ريجينا من أبطيها وابعدتها وهي تقول: «لم أتعرف على البيت، وإذا لم تساعديني يا ريغي، فسأتوه».

تلوّت ريغي متملصة من قبضة كاري، وقالت بهدوء: «إنه منزل جميل. لا أعدك بأن أدلك على كل مخابئي، لكنني سأخبرك عن بعضها».

قالت كاري وهي تنظر إليها بارتياح لهدوئها أخيراً: «لا بأس، أنت لن تختبئي بعد كل الحسنات التي حصلنا عليها».

التفتت ريغي إلى ابيها: «أتدري؟ لماذا لا نبدأ من الطابق الأسفل؟ هل هناك مانع يا رويس إذا اخذت كاري إلى مكتبك؟».

فقال: «ولكن عديني بأن لا تلمسي شيئاً».

كان مستعداً لأن يسامح الآنسة كاترينا راسل على كل شيء لقدرتها في التكيف مع هذه الطفلة. لم ير قط ريجينا، التي أصبحت الآن ريغي، تبدي مثل هذه الصداقة لأحد غيره من قبل.

بعد أن تعطلت خططه لهذا النهار، رأى أن يزور جدته مرة أخرى، فسار إلى الجناح الغربي من المنزل. كانت جدته الآن في الثمانينات من عمرها، وقد أصبحت حيويتها القديمة شيئاً من الماضي. وفي الواقع، بدأ الألم يتملكه خوفاً عليها من أن تموت وهو خارج المركز أو حين يكون بعيداً في رحلة عمل.. لقد حان الوقت تقريباً لكي يحضر لها ممرضة في المنزل رغم أن جدته ستعارض الأمر. إن جادا تناسبها... جادا الرقيقة هادئة الطباع ولكن قريباً جداً ستتراجع قوة الذاكرة لدى جدته وسيصعب حتى على جادا التعامل مع الأمر.

وكالعادة، وجدهما معاً تتحدثان بهدوء ومودة أنشأتها صداقة ثلاثين عاماً. كانت جدته هشة كالبورسلين، لكنها كانت مرتدية ثيابها كاملة التي كانت عبارة عن قميص فضفاض فوق بنطلون مريح ومستلقية على السرير النهاري قرب النافذة. وجادا بقربها على كرسي بذراعين، ونسيم عليل يهب حولهما في الحديقة، محركاً الستائر الشفافة برفق نظرتا إليه بابتسامة دهشة ونهضت جادا، بجسمها الممتلىء وهي تقول: «ظننتك غادرت المنزل منذ وقت طويل، يا سيد ماكويلان؟؟

فقال مازحاً: «لا، بحق الله، هل سمعتما الضجة؟».

فقالت جدته: «أنت تعلم أن ليس بإمكاننا السماع من هنا يا عزيزي».

قالت الجدة وهي ترى جادا تتوجه نحو الباب: «لا تبتعدي كثيراً يا

جادا».

كان في نفس تلك المرأة من اللطف والسكينة ما يخفف عن الجدة الآمها. فأجابت: «سأكون أمام بابك حالما يخرج السيد ماكويلان».

فتنهدت الجدة شاكرة: «شكراً يا عزيزتي».

وعندما خرجت جادا التفتت الجدة إلى حفيدها: «والآن، أخبرني بما حدث».

جلس رويس على كرسي جادا وأخذت الجدة تستمع بصمت إلى حديث رويس ثم تنهدت بعمق: «أرجو أن لا تجعل لندسي محنة لهذه المرأة الشابة كما فعلت مع الأخريات».

قال: «أظنها ستجد كاترينا مختلفة تماماً. فهي عاشت متماسكة مع زوجة والدها ومتمالكة نفسها، أما بالنسبة إلى لندسي... فعليّ أن أوقفها عند حدّها».

لكن القلق بدا على وجه جدته: «بأي شكل؟ ماذا تعني يا عزيزتي؟».

فأجاب بصراحة، وهو يدرك أن جدته لم تكن واعية تماماً لمحاولات لندسي المثيرة لإغرائه: «أعتقد أن الأفضل أن تخرج من البيت نهائياً».

بدا القلق على وجه جدته بسبب حبها لابنها أي عمه، فسألته: «وماذا عن كاميرون؟ إنه بحاجة إلينا يا رويس؟».

لم يجب رويس وهو ينظر إلى جدته. وقالت الجدة بحزن: «لا أدري ما الذي دفع ولدي ليتزوجها فهي تزوجته لأجل المال فقط... لأجل مركزه... وحتى كاميرون يعلم هذا الأمر».

فقال رويس وهو يعبس مرتبكاً: «إنه يعرف طبعاً. أظنه استيقظ على حقيقة «لين» بقدر ما استغرق الوقت لأستيقظ على حقيقة شارون، زواج يجعل الأمور تتحوّل إلى شيء كريه».

قال جملته الأخيرة ساخراً: «لقد فكرت طويلاً في أن أدع كاميرون يستلم «ريفرروك»».

وكان «ريفرروك» مركزاً بعيداً من سلسلة مراكز ماكويلان.

شردت نظرات جدته واجابت: «فليسامحني الله لقولي هذا، يا عزيزي، ولكن هل أنت واثق أن بإمكان كاميرون أن يدير ذلك العمل؟ نحن الإثنان نحبه، لكننا نعلم أيضاً أن كاميرون أوقف نشاطه منذ مدة طويلة».

فقال رويس بشيء من الجفاء: «ولكن هذا لا يعني عدم استعداده للعودة إليه. إن كاميرون يفعل ما أطلبه منه. وهذه الطريقة لا تصلح له».

فقالت مدركة أن حفيدها لا يعرف مدى قوته: «إنه لا يملك صلابتك يا عزيزي. حتى أنه لم تُتح له الفرصة لكي يخرج من تحت ظل والده، «تريش» المرأة الوحيدة التي كانت ستساعده للوصول إلى طريق النجاح، لكن موتها بتلك الطريقة...».

وبسطت الجدة يديها دلالة العجز الكامل، كان ذلك منذ عشرين عاماً، لكنها ما زالت تتذكر مأساة موت كنتها في حادثة ركوب الحصان وكأنه حدث بالأمس، وقال رويس وكأنه يحدث نفسه: «لا أدري لماذا يأخذ الموت الاشخاص الطيبين فقط. من سوء الحظ أن كاميرون متزوج الآن من لندسي. وهي عديمة النفع. فعلى صعيد العلاقة الزوجية نجد أنهما انتقلا إلى غرفتين منفصلتين وبالنسبة لادارة المنزل فهي أبعدت كل الموظفين. وأظن أن على كاميرون أن يطلب الطلاق. كما اضطررت أنا إلى ذلك».

أومأت الجدة بحزن: «عندما افكر في أنني كنت ذات يوم شغوفة بشارون... ولكن شارون وأسرتها أظهروا أنفسهم أمامنا حينذاك بشكل رائع. الأمر كله كان تكلفاً فظيعاً للغاية».

فقال: «يجب ألا تفكري في ذلك يا جدتي، لأنه يزيد من ضيقك».

فقالت: «أنا أعرف أنه لا ينبغي عليّ ذلك، ولكن هذه الأيام، لدي الكثير من الوقت للتفكير ومراجعة ماسينا».

وانتصبت في جلستها فجأة: لن أموت قبل أن أراك متزوجاً مرة أخرى وسعيداً مع المرأة التي تحبها؟».

وقف وهو يمنحها ابتسامته الرائعة: «هذا عظيم، إذا كان ثمة شخص

يصيب الهدف، فهو أنت. وقد تكونين خلاصي الوحيد، يا جدتي».

ثم انحنى ليقبلها.

ربتت على يده القوية قائلة: «لا. ستكون هناك امرأة لأجلك، يمكنني أن أشعر بها تقترب. إنها جواب الله على دعائي الدائم لك».

وعندما وصل إلى الباب نادته بمكر: «يبدو أن كاترينا صاحبتك شابة ممتعة للغاية».

فقال والسخرية في عينيه: «صاحبتي كاترينا، يا جدتي؟».

فقالت متأملة: «من الغريب أن عروس أول جد لنا كان اسمها كاتريونا».

أطلق ضحكة قصيرة: «بدأت بالتفاؤل، يا جدتي. مربيتنا الجديدة كانت تلميذة إلى سنة مضت. فهي صغيرة جداً، كما أنها تعاني من صدمة عليها أن تتغلب عليها».

سألته: «هل هي تعلم أنني كنت عازفة بيانو بارعة في زمني؟».

فأجاب: «لم أقل لها هذا فأنا لم أجد مناسبة لذلك».

فقالت: «لن يفوتها وجود البيانو رغم مداومة السيدة غينزفورد على تغطيته».

فقال: «نية غينزفورد طيبة يا جدتي. منذ سنوات لم يعزف أحد على البيانو والغطاء يصونه من الغبار».

فابتسمت جدته وهي تلوّح له مودعة: «لكن البيانو صنع للعزف يا عزيزي. صاحبتك كاترينا يمكنها أن تعزف عليه في أوقات فراغها».

***

٦ ـ تحت ضوء القمر

كانت الأنوار تشعّ في المنزل الفخم، وسارت كاري إلى الناحية اليسرى من السلم المؤدي إلى الغرف الرئيسية التي تبهر النظر بتألقها المذهل في منزل «مارامبا» ليلاً.

كل شيء كان متألقاً، تحت الضوء المُسلط على مجموعة التحف الرائعة بدءاً من الستائر الخشبية المطعمة بالعاج والأحجار الكريمة، انتهاء بالتماثيل والمزهريات الصينية الطويلة والأواني الضخمة، وكذلك أحواض السمك الكبيرة على جانبي السلّم. وحبست أنفاسها لروعة المشهد.

كانت تعلم من جولتها مع ريغي أن غرفة الجلوس الرائعة كانت إلى يمينها، لم تكن تحتوي فقط على لوحة فنية تمثل حسناء في حديقة مشمسة وقد صادف أن لها نفس لون شعر وبشرة كاري وإنما تحتوي أيضاً على بيانو بحجم تسع أقدام قد لفه شخص ما بغطاء رائع من القماش المقصب. صُدمت لرؤية البيانو وكأن ما هربت منه قد لحق بها إلى هذا المكان المنعزل. كان واضحاً أن أحداً ما في الأسرة كان يعزف على البيانو أحياناً ونسبةً لحجمه وقيمته، لا بدّ من أن شخصاً كان يعزف عليه بمهارة.

وتابعت كاري سيرها، متجاوزة المكتبة التي كانت تحوي مجموعة كبيرة من الكتب، إلى قاعة الطعام الرئيسية التي تستعمل في المناسبات الضخمة. ووراء تلك الغرفة تقع غرفة الطعام الجاهزة للاستعمال اليومي

حيث سيتناولون طعام العشاء هذا المساء. في الداخل كان أفراد الأسرة مسترخين فاستداروا ثم نهضوا جميعاً لرؤيتها بمن فيهم رويس ماكويلان، بوسامته وجاذبيته الفتاكة. عندما رآها نهض على الفور واتجه نحوها، ثم نهضت سيدة صغيرة الجسم هشة، ذات وجه جميل، وترتدي بيجاما فضية أنيقة... لا بد أنها الجدة «لويز ماكويلان»، كما خمنت كاري، ونهض أيضاً رجل طويل رقيق المحيا أشبه بأستاذ جامعي، يشبه «رويس ماكلاين» إلى حد كافٍ ليكون عمه. كما وقفت كذلك، لندسي المتألقة في ثوب مطبّع بالأزهار وفاضح بعض الشيء بالنسبة لعشاء عائلي.

وعندما مدّ رويس يده ليمسك بذراع كاري، قال لها: «لقد كان توقيتك مناسباً. كم تبدين جميلة».

أضاف هذا دون تفكير، فقد كانت تبدو جميلة فعلاً.

ـ تعالي لتتعرفي إلى باقي أفراد الأسرة.

كانت قانعة أن تدعه يقودها، شاعرة بسلطته الخطرة.. وقفت أولاً أمام جدته التي حيتها باهتمام وسرور، مادة إليها يدها اليمنى وهي تقول باسمة: «أريد منك أن تكوني سعيدة هنا، يا عزيزتي».

كانت ابتسامتها رائعة كابتسامة حفيدها، وكانت عيناها السوداوان جميلتين للغاية، فيهما تألق حقيقي.

فأجابت كاري بسرور: «لقد شغفت بالمكان، يا سيدة ماكويلان».

لقد أحبَّتْ الجدة ماكويلان من أوّل نظرة، فلا بد أنها كانت رائعة في صباها، ووجدت نفسها غير قادرة أن تضغط على اليد التي امتدت لها خوفاً من أن تسحقها.. كانت أصابعها هشة طويلة... لا بد أنها كانت يوماً ما قوية. وحان دور كاميرون عم رويس ماكويلان، ليصافح كاري ممسكاً بيدها برفق تماماً كأمه.

كان واحداً من أولئك الرجال الذين يشار إليهم بصفة الجنتلمن. إنه وسيم، منتصب القامة، يتصرف بشهامة ولكنه لا يتمتع بالحيوية أو تلك الهالة من السلطة التي جعلت ابن أخيه مهيباً.

عندما وصلت إلى لندسي، حيتها هذه بشكل مقتضب قائلة: «هالو...».

لكن عيني لندسي الكهرمانيتين جالتا على ملابس كاري، متأملة كل قطعة منها. وكانت كاري اختارت ثوباً يناسبها تماماً، حريري بلون الخوخ وحذاء خفيف برباط. كان الثوب غالياً من حيث الثمن والجودة.

وأخيراً سألتها لندسي وقد بدا أن نتيجة تفحصها لم ترضها: «لا تقولي إنك استطعت أن تجعلي ريجينا تنام».

فابتسمت كاري: «دون أية مقاومة، لقد تشاركنا معاً في قراءة إحدى قصص الأطفال التي أحضرتها معي وفي النهاية استغرقت ريغي في النوم».

فقالت الجدة بلطف، مستخدمة اللقب الجديد، وهي تنظر إلى كاري باستحسان: «ريغي بحاجة فقط إلى التوجيه المناسب وأنا دوماً كنت أقول ذلك».

قالت لندسي والشك في عينيها: «مازلنا في الأيام الأولى، يا جدتي».

***

على مائدة العشاء، عرفت كاري أحد الأسباب التي جعلت مدبرة المنزل متحفظة. كانت طاهية ممتازة، كان العشاء رائعاً. ولم تمض فترة طويلة قبل أن تدرك أنها، هي ورويس، فقط يتذوقان هذا الطعام الرائع. فقد كانت الجدة تأخذ قطعاً صغيرة للغاية من سمك «كوينزلاند» الذي يقدم مع مرقة سرطان البحر والخضروات أما لندسي فأخذت تنكش بشوكتها قطعة «اسكالوب» بينما بدا كاميرون شارد الذهن وكأنه يحل مشكلة مستعصية ثم خرج من شروده ليقول إنه سيتذوق شريحة برتقال وكعكاً بالقهوة.

كان الحديث عاماً وعندما أعلنت كاري عن افتتانها بالمناظر الفسيحة المحيطة بالمنزل والحدائق، دبّت في الجدة الحياة وهي تلتفت إلى كاري قائلة ببهجة: «أول إنجاز لي وأنا عروس كان إنشاء حديقة استوائية رائعة.

كان ذلك تحدياً هائلاً، كنت في العشرين من عمري فقط ومع ذلك أعطاني زوجي صلاحية واسعة وحشداً من العمال المساعدين».

فقال رويس باسماً وهو ينظر إلى كاري التي تبدو منتعشة كزنبقة استوائية: «أحضرت من كلّ أنحاء المركز، صخوراً مستديره ملساء بفعل الطبيعة، وعندما كنا نقوم بالحفريات، غيّرنا شكل محيط البحيرة إلى الأجمل. عندما يُفتح السد ينحدر منه حوالى خمسة آلاف ليتر في الدقيقة. وهذه المياه تأتي من خلف البيت.. سأريك إياها عندما يتسنى لدي وقت».

فقالت: «سأحب كثيراً أن أرى مسقط المياه وهو يعمل».

لم تكن واثقة من شعورها بالضبط نحو رويس ولكنه كان قوياً.

فقال: «سترينه. قررنا أنا وجدتي أن تغرس غابة من النباتات غير المشجرة في تلك الناحية، نظراً لوفرة المياه. خطر في بالها غرس مجموعة من زنابق الماء. كما سترين أحواضاً كبيرة رائعة من الزنابق الاستوائية. أمضت امي وجدتي ساعات في العمل على غرسها بتصاميم مختلفة».

وهزت الجدة رأسها بحزن: «أنا و«روز ماري» كنا صديقتين حميمتين، نعشق الحدائق المنزلية. والغريب أنه لم يكن لأية منا تجارب في هذا المضمار. فقط حبنا الكبير للحدائق».

تدخلت لندسي قائلة بفتور: «لا أحتمل أن تنكسر أظافري. أتمتع بالنظر إلى الحدائق ولكن لا أريد أن يؤلمني ظهري من جراء الانحناء على الزراعة. وبما أننا نتحدث عن الحدائق، فهل أخبرت كاري عن الأفاعي، يا رويس، فقد يزعجها الأمر؟».

حملقت الجدة فيها: «لقد عشت هنا ستين سنة، دون أن تلدغني أفعى يا لندسي، فالأفاعي تبذل جهداً للابتعاد عن الطريق. ولا أظن كاترينا من الحماقة بحيث تحمل أفعى بيدها».

فقالت كاترينا: «سأترك الشغف بالأفاعي لأولئك الذين يمكنهم أن يمسكوا بها.. وقد أحببت المكان سواء أكان هناك أفاعٍ أم لا».

ولم يتحول الحديث من العام إلى الخاص، إلا بعد أن انتقلوا جميعاً إلى غرفة الجلوس لتناول القهوة، إذ قررت لندسي أن تظهر موهبتها في تقصّي الأمور، فقالت لها: «أخبرتني عصفورة صغيرة أنك تعزفين على البيانو يا كاري».

أعلنت هذا مشرقة الوجه وهي تحدق النظر في كاري لترى كيف ستستقبل افتضاح سرها.

ـ يمكنك العزف على البيانو هنا إذا ما سمحت لك الجدة بذلك.

منع الذهول كاري من أن تشعر بالغضب، رغم أن السرعة التي تفشي فيها الخبر قد أصابتها بالغثيان. لا بد أن «رويس ماكويلان» أخبر هذه المرأة الخبيثة كل شيء عنها، إما هو وإما جدته. وهذا ما جعلها تشعر بالغدر.

ولا بد أن هذا بدا على وجهها، فقد صرخت لندسي وكأنها تذكرت هذه المعلومة لتوّها: «آه، آسفة. لقد نسيّت أمر الحادث، أليس كذلك؟».

بدا على رويس الذهول: «وكيف عرفت هذا؟».

قاطعها قبل أن تتابع كلامها، غير عابىء بأن يخفي العداء في لهجته: «لا تقولي إن شارون هي مصدر المعلومات أو إينا».

ونظرت لندسي إليه ساخرة: «لكنني ظننتك تحب إينا يا رويس؟ لقد أخبرتك هذا الصباح بأنني تحدثت معها.. لكنك لم تشأ أن تعرف محور الحديث».

معرفة كاري بأن رويس ليس من كشف السر للندسي ساعدها كثيراً في استعادة هدوء نفسها. وسألت: «لا أستطيع أن افهم لماذا السيدة شارون ماكويلان أو أختها تهتمان لأمري».

ضحكت لندسي كاشفة عن أسنان ناصعة البياض وقالت: «الأمر بسيط، ما زالت شارون تهتم بأي امرأة تدخل هذا البيت.. لقد شحب وجهك يا كاري، أرجو أن لا أكون أثرت استياءك».

بقيت كاري هادئة ثم قالت: «لقد أدهشتني. كنت أرجو أن أنسى حادثة الاصطدام لفترة».

وبدا الاستياء على وجه الجدة فقالت: «أرجوك لندسي.. أتمنى لو تغيّري الموضوع. فكاترينا تواجه مشاكلها بطريقتها الخاصة، وأقول لكِ الآن، وهنا، يا كاترينا..».

والتفتت إلى كاري: «إنني أرحب بك إذا أردت استعمال البيانو في أي وقت تشائين».

ابتسمت كاري لها شاكرة: «شكراً يا سيدة ماكويلان، ليس الأمر سهلاً حالياً، كما تتصورين».

فقالت الجدة تخفف عنها: «هذا صحيح يا عزيزتي، لكنني أعلم بأنك ستجدين الشجاعة لذلك».

إزاء الحب والعطف اللذي لقيتهما من العجوز، شعرت لندسي بالغيرة. فسألت: «هل من الممكن أن يكون الأمر مأساوياً إلى هذا الحد؟ يمكنك أن تعيشي حياة طبيعية، فأنت لم تفقدي عضواً من أعضائك».

وفجأة، تصورت وجه زوجة أبيها أمامها. فهذا نمط كلام غليندا لها، عندها أجابت كاري بهدوء: «لا أظنك تعلمين الكثير عن هذا يا سيدة ماكويلان، لقد درست الموسيقى طوال حياتي. فأنا أعشقها. تدربت عليها جيداً، وكان يمكن أن أتخذها مهنة».

فقالت لندسي: «إذاً، فقبولك لمهنة مربية هو أمر غريب، من أقترح عليك ذلك؟».

وتحوّلت نظراتها بشكل عاصف إلى رويس.

فقال رويس: «لا تزعجي نفسك بالسؤال. فلا شأن لك بهذا».

وقال زوجها كاميرون، بعد أن استغرق وقتاً طويلاً قبل أن يكبح جماح زوجته: «هذا صحيح تماماً. وقد يكون الأفضل أيضاً أن لا تعطي «إينا» أدنى تشجيع على الثرثرة.. تذكري أن شارون لم تعد جزءاً من الأسرة».

احمر وجه لندسي لتعنيف زوجها لها، فقالت: «لا بد أن هناك من

أخبرها بهذا.. أنا لم أطلب معلومات عن الآنسة راسل، فقد تطوعت هي بذلك. وشخصياً، لا أفهم ما الداعي للسّرية».

فقال رويس ببطء وهو ينظر إليها ساخراً: «إذا كانت لا تريد أن تتحدث عن ذلك، فهذا أمرٌ يعنيها وحدها، وعندما تعودين إلى التحدث مع «أينا»، فأبلغيها أنها لن تكون على قائمة المدعوين عيد الميلاد القادم».

هتفت لندسي دون وعي: «يا لعنفك وقسوتك!. فهي تعيش لأجل هذه الزيارات. إنها، مثل شارون، لن تستطيع أبداً أن تنساك».

فقال لها بقسوة متعمدة: «وماذا يهمني من ذلك؟ جدتي، لا أرى أن هذا الموضوع يسرك كثيراً».

فأجابت باسمة: «بالعكس، فقد سرتني معرفة كاترينا، وأرجوك، يا كاترينا، ألا تتركيني لوحدتي الموحشة. يجب أن تزوريني فبإمكاننا أن نتحدث».

قالت كاري: «هذا سيسرني جداً، يا سيدة ماكويلان».

كان في عيني كاترينا عرفان جميل بالغ فقد شرّفها أن تجهد السيدة المسنّة نفسها في النزول إلى العشاء لتقابلها. نظرت الجدة إلى حفيدها مرة أخرى، ورأسها يهتز دون وعي منها تقريباً وقالت: «والآن، سريري يناديني، أظنك لن تمانع أن تساعدني في الصعود، يا عزيزي».

فقال وهو يهبّ واقفاً: «بكل تأكيد».

وتقدم كاميرون ينحني على أمه ويقبل وجنتها: «تصبحين على خير يا أمي».

أجابت: «تصبح على خير يا ولدي».

وربتت يده.

اعتذرت كاري قائلة إنها ستذهب للتمشى، تاركة الزوجين غير منسجمين إلى حد غير عادي، فلم يكن يبدو عليهما أي اشتراك في الميول. لكن أكثر ما كان يشغل بال كاري، هو أن لندسي تبدو اكثر انجذاباً إلى ابن اخ زوجها، منه إلى زوجها. أترى هناك حقل الغام يكمن

وراء ذلك؟ لا يكاد هذا يصدّق.

تملك كاري الارتياح وهي تجد نفسها في الردهة الفسيحة، ومن هناك ذهبت إلى حديقة البيت. كانت ليلة رائعة، والمناظر الفسيحة كان يغمرها ضوء البدر الاستوائي الكبير. سلكت الطريق المرصوف راغبة في التنزه قليلاً قبل أن تعود إلى غرفتها.. لم تر في حياتها حديقة بمثل هذه المساحة. أعداد لا تُحصى من الأزهار تنشر شذاها في الليل وضوء القمر المتألق ينير طريقها ويعكس سحره على مياه البحيرة الساكنة.

أزعجها أن تعلم أن زوجة رويس قد توصلت إلى كشف ماضيها بهذه السرعة. لا بد أن لديها جواسيس في كل مكان. فكرّت «بإينا». إنهنّ ثلاث نساء مهووسات برجل واحد. من الواضح جداً أن رويس ماكويلان هو احد أولئك الرجال الذين تعجز النساء عن مقاومتهم، لسبب لا يتعلق بالوسامة فحسب، وإنما يتعلق بشخصيته والهالة التي تحيط به. وضغطت كاري إصبعها المصاب على خدها الدافىء.. إنها بعيدة جداً عن كل إنسان أحبته، أبوها، ميليسا، جايمس وليز.. بعيدة عن أصدقائها. يمكنها تصوّر كيف سيكون الأمر مع «لندسي ماكويلان». لن تكون حليفة لها وإنما عدوة ضارية بسبب الشعور الذي تكنه لرويس ماكويلان. لماذا تقيم لندسي هنا؟ أليس من الأفضل لها ولزوجها أن يعيشا في مكان آخر فلن يصمد زواجهما ولندسي تدأب على تغذية افتتانها المحرم به؟.

تابعت كاري سيرها وقد لفتها دوامة الأفكار، لم تكن تظن أنها ستواجه مثل ذلك الإزعاج وهي تؤدي عملها كمربية. فريغي وبعد تلك البداية السيئة باتت سهلة الانقياد بشكل مدهش، وأثناء جولتهما في المنزل، وجدتها رفيقة صغيرة ممتعة تعرف أشياء جميلة وأماكن بعيدة اكثر مما ينبغي لفتاة بعمرها أن تعرف. ولحفزها على تناول الطعام، أقنعت كاري مديرة المنزل بأن تطهو لها قطعة سمك مغموسة بخليط من البيض والدقيق والحليب للطفلة، تقدمها مع البطاطا المقلية، وتضعها في سلة صغيرة. كاري، التي كانت تعرف القليل عن فن تشكيل الفوط الورقية،

بادرت بصنع زنبقة لأجل صحن ريغي، وفيما بعد أخذت تريها كيف تطوي الفوطة مرة بعد مرة إلى أن أصبح بإمكانها أن تجذب برفق الزوايا إلى أعلى لكي تشكّل أوراق الزهرة. وقد فتن هذا ريغي، وأكلت طعامها بشهية بالغة، وهذا سرّ مديرة المنزل إلى حد أن ذهبت إلى درج اخرجت منه فوطة كبيرة، وأخذت تطويها بشكل قبعة مطران ثم وضعتها بجانب الزنبقة.

صفقت ريجي بيديها فابتسمت مديرة المنزل. إنها أشياء بسيطة ولكنها استطاعت أن تجعل وقت الغداء ممتعاً للغاية. بعد عشرين دقيقة، انتعشت كاري، وامتلأت رئتاها بهواء الليل النقي فاستدارت لتعود أدراجها، وعيناها مأخوذتان بمشهد المنزل المتلألىء بالأنوار. إنه أشبه بسفينة في بحر الليل. هذه مغامرة استوائية لم تكن تتصورها. اكتشفت أموراً في ذاتها لم تكن تعي وجودها من قبل؛ هياج عنيف في دمها، وبهجة بالغة لمجرد النظر إلى شخص معيّن، أو التفرس في وجهه، وقوة جسمه ورشاقته، والاستماع إلى صوته، وابتسامته الساحرة وبريق عينيه.

كانت كاري على مقربة من الجناح الشرقي خارج المكتبة، عندما رأت من خلال باب الشرفة منظراً جعلها حذرة خائفة.. رويس ماكويلان ثائر غاضب... وكان ممسكاً بكتفي لندسي، ووجهه الذي هو في العادة، ممتلىء حيوية، يبدو الآن قاسياً حاداً. كانت عينا لندسي مرفوعتين إلى وجهه، مذهولة، متوسلة. مهما كانت الكلمات التي تدور بينهما، لم تستطع كاري أن تسمعها ولكن لغة الجسد كانت واضحة بينهما.

كانت الصدمة من القوة بحيث شعرت كاري معها بأنها تدور أو تلقت ضربة على صدرها، فتراجعت بتعاسة، وتركت الطريق مندفعة، واضعة يدها على قلبها الذي كان يقفز في صدرها.

هذا غير ممكن... صرخت كاري بصوت ممزق، متحدثة بصوت مرتفع كالأطفال. لا يمكن أن يكونا على علاقة... ومهما كان ما رأته، أو ما ظنت نفسها رأته، لا يمكن أن يكون صحيحاً.

وأجابها الليل: لا دخان من دون نار.

هرب كاري الطائش أوصلها إلى منحدر معشوشب يفضي إلى البحيرة، كانت معدتها تتقلص، وفي فمها مرارة.

تنشقت رائحة الماء، وسمعت الموسيقى تصفر بين القصب، ولمحت رؤوس الزنابق الناصعة البياض. ماذا تفعل الآن؟ هل تنتظر حتى تهدأ دقات قلبها ثم تعود فتصعد المنحدر ومنه إلى الطريق؟ لم تعرف ما إذا كان عليها أن تتمتم بعض الألحان لتنذر بقدومها. ألم تخبره لندسي أن المربية خرجت لتتمشى؟ ام انهما منشغلان بحيث لم يعودا يكترثان لمجيء أحد؟ كان الظلام يحيط بها، لا يمكن أن يراها أحد من المنزل، لكنها بعد لحظات تبينت قامة رويس ماكويلان الممشوقة من خلال انبعاث الضوء من الردهة. رأته يخرج إلى الفيراندا أشبه برجل يريد أن يعبّ الهواء النقي.

وقف لحظة يتأمل الطبيعة ليلاً، ثم هبط السلم.

رغبت كاري في الابتعاد عنه، فوجدت نفسها تهرب راكضة بين الأعشاب، عند ضفاف البحيرة، إلى أن التجأت إلى أحد ظلال الأشجار وفكرت أنّ عليها عندما تعود أن تدخل متسللة خفية.

استعاد ذهنها هاجس المشهد المحموم، هل كان شهوة؟ ذنب؟ أم غضب؟ أدركت كاري أنها كانت ترتجف، وتتنفس بصوت مسموع.

أذهلها صوت رجل يقول: «يا إلهي؟».

كيف جاء إلى هنا؟ ومع ذلك، طوقتها ذراعان من فولاذ. فتوقفت وهي ترتجف وسمعته يقول بصوت خشن: «لو عشت مئة سنة، فلن افهم لماذا تفعل النساء ما يفعلنه».

حاولت أن تضحك، لكنها لم تفلح وبدلاً من ذلك أخذت تسحب أنفاسها: «آسفة، لقد تهت في الظلام».

فسألها: «أما كان عليك أن تلزمي الطريق؟».

كان يشعر بارتجاف جسدها، بينما ضوء القمر منعكس على وجهها الذي كان متوهجاً بحرارة. شعر فوراً بتيار من الأحاسيس الحارة بينهما، فحاول أن يقطع هذا الاتصال الحسي. أما هي فقالت وهي تناضل، لكي

تتمالك نفسها: «أردت أن أرى البحيرة».

تابع الإمساك بها، وهو لا يكاد يمنع نفسه من هزها: «إسمعي، ألم أخبرك أكثر مرة واحدة بأن لا تبتعدي عن الطريق أثناء الليل. ولا تمشي بشكل خاص حول البحيرة فالأرض لزجة ومن الممكن أن تعلقي بين القصب. كنت أظنك أعقل من ذلك، حتى أنك لا تنتعلين حذاءً سميكاً».

فقالت: «آسفة، لقد نسيت ذلك. لن أقوم بهذا مرة أخرى».

ووقفت كالتمثال بين ذراعيه، متمنية أن تتجاهل مشاعرها فقال بفروغ صبر: «بالله عليك يا فتاة، أنا مسؤول عن سلامتك هنا».

شعرت بطاقتها تعود إليها: «إسمع، أنا بخير لذا لا أريد أن ترافقني في طريق العودة».

أدار وجهها لتنظر إليه: «شيء ما أثار غيظك».

قالت وقد توتر جسدها: «يمكنني معالجة ذلك».

وأمرها: «أخبريني».

واجهته بعداء واضح: «أفضّل الموت على ذلك».

فقال: «لا بد أن الأمر فظيع للغاية. خرجت تتمشين على الطريق، أليس كذلك؟».

وتهدج صوته بنوع من الإزدراء.

فقالت: «أرجو ألا يكون عليّ أن أقدم حساباً عن تحركاتي».

علّق بدوره: «آه، هذه النغمة العدائية تكشف كل شيء».

فقالت: «أنا حقاً لا أريد أن أتحدث عن ذلك».

لم تكن تريد ذلك حقاً فقد شعرت بأنها محبوسة في سجن كبير. . ردّ هازئاً: «عليك أن لا تخفي شيئاً عني، وهل رأيت شيئاً. . . أم ظننت أنك رأيت شيئاً. . . ضايقك أو جعلك تندفعين بسرعة في الظلام الحالك».

قالت: «لماذا لا تغيّر الموضوع».

وأدركت لتوّها أن صوتها بدا متوتراً. . . حافلاً بالإدانة فقال بلطف: «يا لك من منافقة أحياناً! أي موضوع تريدين أن نغيّره؟».

أحنت رأسها فسقط شعرها حول وجهها كستارة وقالت: «أفترض احياناً أنه لن يفيد سوى قول الحقيقة».

فقال: «وأنت واثقة من أنك تعرفينها؟ دعيني أوفّر عليك الكلام، يا كاري. كنت داخل المنزل ورأيتنا، أنا ولندسي، نتبادل بعض الكلمات العاصفة».

فقالت بصوت خافت: «شيء كهذا».

فحدق إليها: «ولم ساءك ذلك إلى هذا الحد، فهذا ليس من شأنك؟».

قالت: «لم أر الأمر بهذا الشكل. أنا منزعجة تماماً».

فقال متهكماً: «هل ظننت أنك وقعت على مشهد غرامي غير أخلاقي؟».

فقالت شاعرة بالخزي: «لا ضرورة للكلام الجارح».

ردّ: «كما أنه لا ضرورة لأن تمثلي دور البراءة والفضيلة، يا آنسة راسل. أعود فأكرر بأن ليس لي علاقة بزوجة عمي. أنت. هل ظننت حقاً أنني كذلك؟ هل هذا ظنك بي؟».

هزت رأسها ببؤس: «لا. ليس الأمر كذلك. ولكنها.. تحبك، عليك أن تعلم».

سألها بخشونة: «وهل يبدو الأمر كذلك؟».

فأجابت: «هذا ما فهمته منذ وصولي إلى هذا البيت».

فتأوه: «تهانيَّ!».

فسألته دون وعي: «ماذا قلت لها؟».

فسألها بحيرة، محاولا أن يضبط شعوره: «ومن تظنين نفسك بحق الله؟ يبدو أنك لست سعيدة بأن تقتصري على دور المربية».

فقالت بغضب: «لم أختر المكان ولا الوقت، فقط صادف انني رأيت غرفة مضاءة...».

قاطعها: «وهكذا أسأت الحكم على ما رأيت».

رفعت كاري بصرها: «أنا آسفة لما حدث. وآسفة إذا جرحت مشاعرك. أعلم أنه من المستحيل أن تغدر بعمك أبداً».

فقال وهو يضغط أصابعه على معصمها: «هل هناك شيء تريدين إضافته؟».

فأجابت: «نعم.. لا تغضب مني، أرجوك».

لان فجأة، وأخذ يدلك، بذهن شارد، بشرتها الشفافة بإبهامه: «لا بأس، فلنعلن هدنة. سنتمشى قليلاً ثم نعود إلى البيت، ولكن أولاً، أريد أن أخبرك أن فكرة هيام لندسي بي هي مزحة، وبصراحة، لندسي لا تحصل على الحب الذي تريده، لذا فهي متلهفة إلى ذلك كما يبدو. هذا هو تفسيري، ولكنها لن تحصل عليه مني».

فقالت متألمة: «رباه! الحب هو مرض حقاً».

فقال: «ليس هذا حباً».

قالت: «لا بد أنه يبدو لها كذلك. ألا يستطيع عمك وزوجته أن يعيشا في مكان آخر؟ فهمت أنه ثري جداً».

أجاب بجفاء: «بعده عنا سيدمّره تقريباً».

فقالت: «يجب أن يستمتع عمك بحياته فهو رجل ساحر».

فقال: «ورقيق أيضاً. كاميرون منطوٍ على نفسه وهو في أمور كثيرة عدوّ نفسه».

فقالت: «أمر محزن».

وارتعش صوتها. فقال: «نعم، إنه محزن. لكن صبري قد نفد».

عندها أوضحت: «انهما زوجان غير منسجمين».

وأخذت تفكر في نزع يدها من يده، لكنها لم تفعل. ردّ بلهجة مزدرية: «رباه! إنه ليس الوحيد الذي تزوج المرأة الخطأ. لقد جعلنا أنا وكاميرون من ذلك شغل الأسرة الشاغل».

حاولت أن تخفف غضبه: «ستتعرّف إلى المرأة المناسبة».

ردّ هازئاً: «هل ستتخذين دور العرّافة؟».

ونظر إلى شعرها الحريري، وجانب وجهها الذي أدارته إزاء الشفق الأحمر الذهبي.

فقالت: «لا. فقط أحاول أن اكون متفائلة».

فقال: «ما ألطف هذا من قبلك!».

لكم كانت ذبذبات صوته جذابة! فقالت: «لا تشعر بالمرارة، فأذكى الناس يرتكبون أحياناً أخطاء شنيعة».

دهشت وهي تراه يقهقه من كل قلبه: «كاترينا، بصيرتك رائعة بالنسبة إلى صغر سنك».

فقالت: «لا تستخف بتجربتي».

قال: «تعجبينني كما أنت».

وقبل أن تدرك ما يريد أن يفعل، أدارها إليه وجعل وجهها البيضاوي بين راحتيه: «ما الذي تفعلينه بحياتي؟».

وقبل أن تجيب، انحنى يعانقها برقة بالغة ومع ذلك خفق قلبها بعنف. لقد سحرها عناقه بحيث أوشكت على الصراخ.. عندما ابتعد عنها، لم تستطع سوى القول متلعثمة: «قلت إنك لن... لن تعانقني مرة أخرى».

فأومأ قائلاً: «وكنت اعني ذلك أيضاً، حينذاك».

كان صوته رقيقاً، متأججاً بالمشاعر وهو يدفع شعرها إلى خلف أذنيها، فقالت: «حسناً، ما كان يجب أن تفعل هذا، لا استطيع أن افكر جيداً».

فقال: «هذا عقابك. فإياك... إياك أن تتجسسي عليّ مرة أخرى».

وأمسك بيدها، يحثها على السير إلى البيت، وعندما وضعها على الطريق لم تستطع إلا أن تسأله: «هل كنت تتعامل بالأسلوب نفسه مع المربيتين السابقتين؟».

فقال ساخراً: «لم تكونا جميليتن ولم تتنزها ليلاً مثلك. لا أستطيع التصديق أنني منذ أسبوعين لم أكن أعرفك».

فقالت: «نعم، هذا غريب».

وافقته على ذلك بينما كان يتأملها: «الأمر اكثر من مجرد غريب. إنه مذهل».

وفجأة وعت أنها بعد شهور طويلة من الخيبة التي عانت منها بسبب الاصطدام، إذا بالعالم يصبح أجمل، ورفعت وجهها إليه وهما يسيران معاً على الطريق.

كانت تشعر بالحرارة تنبعث من يده.. عليها أن تجد طريقة لإخفاء اضطرابها إذ لا يمكن أن تكون سنواتها الطويلة في التدريب قد ضاعت سدى.

قال وكأنه قرأ أفكارها: «هناك اشياء تبدو أسوأ قبل أن تتحسن يا كاترينا، عليك أن تقاومي».

فقالت: «هذا ما سأفعله».

تمهلا في سيرهما، هو يتحدث، وهي تصغي منسجمة تماماً مع صوته المتناغم. ولم يلحظ أحد منهما المرأة التي كانت تقف على الشرفة العليا، ولا عرفا كم من الوقت أمضت في ذلك المكان.

* * *

٧ ـ العدوّة

تملك كل شخص في المنزل السرور عندما تحوّلت ريغي بين ليلة وضحاها، إلى شخص آخر. أصبحت طفلة رضيّة خاضعة لسلطة كاري المتفهّمة، لإيمانها بأن كاري تحبها حقاً.

ومع نهاية الشهر، كانتا قد نظمتا جدول عمل ممتاز:

ثلاث ساعات دراسية في الصباح، وساعتان بعد الظهر، وبعكس ما ظن الجميع، أثبتت «ريغي» أنها تلميذة ذكية فالطريقة الصحيحة التي اكتسبتها كاري من خبرتها في تعليم الأولاد عبر دمجها العلم بالتسلية نجحت مع ريجينا. وهكذا باشرت مهمتها بشكل طبيعي جداً، كانت معرفة ريغي باللغة ممتازة بالنسبة إلى سنها بغض النظر عن الشتائم التي كانت تندفع من بين شفتي الطفلة من وقت لآخر. كما أن السيدة «غينزفورد» اضطرت إلى الاعتراف بنجاح طريقة كاري. وتعلّمت ريغي كيف تصنع فطورها بسهولة على الخلاط، وقد أذعنت مديرة المنزل للوضع فأدرجت (وجبة الطفلة) على قائمة الطعام بشرط تناول ريغي الخضروات النيئة مع الشكولاته الممزوجة بالحليب وظهرت النتيجة بازدياد في وزن الطفلة.

لم يكن الأمر كله مجرّد تعليم فغالباً ما كانتا تتنزهان أو تتناولان معاً الطعام، وكان رويس قد وضع تحت تصرف كاري سيارة «تويوتا» لمساعدتها على التنقل. وفي الواقع، كانت تفكر احياناً في أنه مستعد لأن

يعطيها أي شيء ليجعلها سعيدة هي وريغي.

أحبت الطفلة نزهاتهما القصيرة إلى الدغل، لكن كاري لم تستطع أن تقنع الطفلة بأن تتعلم السباحة. كان هناك بركة رائعة للسباحة في الحديقة الخلفية للمنزل غير أن أكثر ما أثار اهتمام كاري وسرورها، البركة الصخرية المتدرجة.. كانت مياهها باردة حتى في عزّ الحر، تحيط بها أعشاب طبيعية زرقاء تتدلى منها، في هذا الوقت من العام، أزهار صفراء.

في ذلك اليوم أنهتا غداءهما الريفي وقد ارتدت ريجي قميصاً ورديا و «شورت»، وجلست على صخرة كبيرة مسطحة تطل على البحيرة، تنظر إلى كاري وهي تسبح.

عندما طفت كاري على ظهرها، وانتشر شعرها حولها، نادتها ريغي قائلة: «تبدين أشبه بعروس البحر».

فأجابتها: «السباحة منعشة».

وتمنت كاري لو استطاعت أن تقنع الطفلة بالنزول إلى الماء. لكن الطفلة كانت ترفض بإصرار مقتنعة بوجود أرواح شريرة في قاع البحيرة.

ظنّت كاري أنها لم تسمع جيداً، فسألتها: «أرواح؟».

وسبحت نحو الطفلة: «هل قلت أرواح؟».

فقالت ريغي محذرة: «وستمسك بك أيضاً».

فهزت كاري رأسها: «هذا مكان جميل جداً، يا ريغي. ألا تشعرين بالسكينة والانسجام من حولك؟».

فأجابت الطفلة ببساطة: «نعم أشعر بذلك. ولكن هناك عفاريت أيضاً».

فسألتها كاري: «ومن قال ذلك».

وخرجت من البحيرة والماء يتساقط من جسدها الرشيق في «مايوه» السباحة الداكن الزرقة.

التقطت ريغي بسرعة منشفة كاري وناولتها إياها وهي تحملق فيها بإعجاب واضح.

ـ لديك قوام جميل.

فقالت كاري باسمة: «شكراً يا ريغي، أنا أقوم بكثير من التمارين هذه الأيام».

فقالت ريغي: «عمي كاميرون أخبر رويس أنك أجمل فتاة رآها في حياته. أتعرفين ماذا؟ قال ذلك أمام لندسي».

فهتفت كاري وهي تجفف جسدها: «آه...».

كانت تعلم أن لندسي لن يعجبها ذلك.

وابتسمت ريغي: «عمي كاميرون يقول فقط ما يظنه. إنه رجل طيب، أليس كذلك؟ ولكنه هادىء جداً».

فقالت كاري بصدق: «إنه طيب جداً».

فقد ازدادت معرفتها بكاميرون وعادت تقول: «أظن أن هدوءه نتيجة حزن كبير يا ريغي».

فقالت الطفلة: «وماذا تعنين بذلك؟».

فأكملت كاري: «عندما فقد عمك زوجته الأولى، كان حزنه فظيعاً بحيث لم يستطع أن يتخلص منه، لذا لم يخفّ حزنه بعد».

وفكرت كاري في أبيها وحزنه على أمها، وقالت: «يمكن أن تكون مشاعر الرجال بالغة العمق».

أومأت ريغي موافقة وكأنها راشدة: «لماذا تزوج لندسي إذن؟».

فأجابت: «ربما فكر في أنها ستجلب البهجة إلى حياته، فهي امرأة صارخة الجمال».

فقالت ريغي: «شعرها الأشقر مصبوغ. ألم تري جذوره؟».

قالت كاري: «كثيرات من النساء يصبغن شعرهن، وهو يبدو جميلاً».

فقالت ريغي: «لم تعد تخيفني».

فقالت كاري بصوت خافت: «هذا ما أرجوه».

كان شعور الحماية يتملكها بقوة تجاه الطفلة التي أردفت: «نعم.

كانت تخيفني. فقد قالت لابن خالتي إنها لم تكن تظن أنني واحدة منهم».

فنظرت إليها كاري بذعر: «واحدة ممن؟».

فأجابت: «لا أعرف. أظنها مجنونة. على كل حال هي التي أخبرتني عن الأرواح في قاع البحيرة في البيت، قائلة إنه يمكن أن تلتف حول كاحلي وتشدني إلى القاع».

صممت كاري على التحدث إلى لندسي. وقالت لها: «يمكنني أن أعلمك السباحة في وقت قصير جداً، إذا شئت يا ريغي، فأنت لن تخافي ابداً معي».

ـ لا تكوني سخيفة، أنت ماهرة! سأفكر في ذلك يا كاري، ولكن ليس اليوم.

ردت كاري بارتياح: «هذا حسن».

تملكها الرضا لهذا الإنجاز وأخذت تسرّح شعرها على شكل ذيل حصان وهي تتابع قائلة: «علينا أن نعود إلى البيت».

لكن ريغي كانت سعيدة في مكانها، فقالت لها: «ألا تريدين أن يجفّ جسمك؟».

فأجابت كاري: «نعم. أحب ذلك».

وعندما بسطت كاري منشفتها على صخرة ثم استلقت تحت ظل شجرة، تنهدت ريغي مسرورة وقالت لها: «أحب هذا المكان...».

وبعد لحظة قالت: «أتعلمين أن لدينا تماسيح في «مارامبا»؟».

فشهقت كاري: «ما... ذا؟».

وسحبت ساقيها الطويلتين إلى أعلى خوفاً من أن تندفع إليها واحدة من تلك الزواحف المائية من أسفل، فأخذت ريغي تضحك: «ليس هنا يا غبية، هذا ماء حلو. أنا أتحدث عن المستنقعات.. قد يأخذنا رويس قرب المصب حيث يوجد تماسيح في المياه المالحة.. ليس هناك الكثير منها كما في السابق. ألا تظنين أن رويس سيمنعنا من السباحة فيها؟».

أجابت: «إسمعي. أنا أشعر بشيء من الضعف، فلقد أخفتني».

قالت ريغي بعذوبة: «آسفة جداً لم اكن أقصد هذا. وكنت أرجو أن تطلبي من رويس أن يأخذنا إلى المكان.. يمكننا أن نذهب إلى هناك بالطائرة».

فقالت كاري متوسلة: «لا أدري إذا كان يهمني كثيراً الاجتماع بأصدقائك التماسيح».

فقالت ريغي بلهفة: «إنها ممتعة للغاية! أول مرة رأيت فيها واحداً منها خارج الماء، ظننته قطعة حطب».

ارتجفت كاري خوفاً، والتفتت إلى جلبة ثارت خلفهما.

أقبل فارس على صهوة جواد وهو ينادي: «أتريدان مرافقاً؟».

ردت ريغي عليه منادية وهي تضحك: «آه، يُفترض بك أن تعمل، سأخبر رويس».

فقال الفارس وهو يترجل عن حصانه رابطاً اللجام إلى غصن شجرة: «لدي استراحة، يا أميرة».

كان شاباً طويلاً وجذاباً بشعره الذهبي وعينيه العسليتين، إنه «تيم بارتن» ابن تاجر ثري من ملبورن، وصديق قديم لأسرة ماكويلان، وهو يعمل في مارمبا لمدة سنة، كنوع من التعود على حياة البراري الخشنة قبل أن يلتحق بشركة الأسرة التجارية، كما فهمت كاري. لقد قابلته عدة مرات أثناء رحلاتها حول المركز واستلطفته تماماً رغم كونه لا يأخذ عمله على محمل الجد، فهو يعترف قائلاً أنه يريد أن يستغل كل لحظة من المتعة هنا، وقد أعجبته كاري من أول نظرة.

أخذ يسير الآن متمهلاً على المنحدر المعشوشب، مترنحاً قليلاً في حذاء الركوب الطويل، وفي يده عصا. حدق إليها بإعجاب واضح: «كيف حالك يا كاري؟».

فأجابت: «بخير، يا تيم».

وابتسمت له ببساطة: «ألا يُعتبر تصرفك مضيعة للوقت؟».

فضحك بطبيعته السمحاء: «الحديث مع فتاة... مع فتيات جميلات

لا يُعتبر أبداً إضاعة للوقت».

وانحنى باتجاه ريغي فهزت هذه رأسها: «جئت هنا لترى كاري. يقول رويس إنك تتصور نفسك معبود النساء».

احمرت اذنا تيم: «أنت فضولية... يا ريغي، ألم تعلمك كاري السباحة بعد؟».

فأجابت: «الماء غير دافىء بما يكفي. أتريد تفاحة؟».

فأجاب: «لا استطيع أن أقفز لكي آخذها منك».

فقالت وهي تقذف نحوه بالتفاحة: «لا بأس! ماذا تريد، على كل حال؟».

نظر إلى كاري وفي عينيه اشمئزاز ضاحك: «أقسم على أن هذه الطفلة امرأة راشدة. في الواقع، أردت أن اسأل كاري عما إذا كانت تحب أن تذهب معي في نزهة على الخيل خلال العطلة الأسبوعية. أنا أعرف أماكن قفراء كثيرة.. لديّ فراغ بعد ظهر السبت».

أجابت ريغي على الفور: «نود أن نذهب بكل تأكيد».

قال بنعومة: «لا أذكر أنني دعوتك، يا أميرة، وعلى كل حال، أنت صغيرة على ركوب الخيل».

فأجابته ساخطة: «أنا لست صغيرة، لا تقل هذا. لم أكن جاهزة من قبل أما الآن فكاري ستعلمني».

فهتف يقول: «يبدو أنه ليس لدى كاري وقت فراغ لنفسها».

قالت: «كاري هي مربيتي، وربما يمكننا أن نذهب في السيارة».

فقالت كاري شاعرة بالشفقة على تيم: «لماذا لا؟ هل هذا يناسبك؟».

وابتسمت له بكسل، وهي تتمنى لو كان رويس هو الذي يدعوها إلى النزهة معه.

فقال بنصف مزاح: «ألا يمكنك التخلص من هذه الشقية ليوم واحد؟».

فقالت ريغي ضاحكة: «لا. هي لا تستطيع... سأكون أنا... ما هي تلك الكلمة...؟».

فسألها تيم ساخراً: «حارسة؟».

قالت ريغي بفرح: «نعم. هذه هي الكلمة، وعلى كل حال، لدى كاري صديق في بلدها».

نظر تيم إلى كاري يسألها بابتسامة ملتوية: «أحقاً؟ ولماذا لا يكون لك صديق وأنت على هذا الجمال؟».

فقالت ريغي: «أراهن على أنهما سيعقدان خطبتهما قريباً، ستضع كاري الصور في مجلة «يوم المرأة»».

وقفت كاري ضاحكة، باحثة حولها عن المئزر الملوّن لكي تلفه حول خصرها.

عندما وجدهما رويس ماكويلان انزعج إلى حد كبير.

تيم يستحق التوبيخ حقاً، كان ينظر إلى كاري وعلى وجهه مظاهر الوله. أما كاري، فكانت غافلة تماماً عن تلك النظرات. وكانت ريغي جالسة على الصخرة بسعادة وهي تأكل تفاحة.

أوقف رويس حصانه الجامح للحظة ومحا العبوس عن وجهه قبل أن ينادي تيم قائلاً: «تيم، أليس من المفروض أن تساعد «لانس»؟».

استدار تيم على الفور وقال بكل احترام: «آسف، أيها الرئيس، سمعت الفتاتين تعبثان بالماء، فقررت النزول للتحية».

فقال: «أنا واثق من أنهما تقدّران لك جميلك والآن ودّعهما وانصرف إلى العمل، فهناك الكثير من العمل أمامك قبل الغروب».

كان في العادة متساهلاً مع الفتى لعلمه أنه هنا لمجرّد التدرُّب فقط. لكن استراحات تيم قد زادت عن حدّها مؤخراً وسيتحدث معه على انفراد فيما بعد.

تمتم تيم بسرعة: «أراك يوم السبت إذاً، يا كاري».

وعندما نظر إلى رويس ماكويلان أدركت كاري ما يجول في خاطر

رويس فأعلنت: «الأفضل أن تذهب الآن، يا تيم. سأمرّ لأصحبك بالسيارة الساعة الثانية أمام مبنى العمال».

فقال: «هذا عظيم».

فنادته ريغي بمرح: «إلى اللقاء يا تيم، ستكون نزهتنا جميلة».

نزهة؟ وتقدم رويس متظاهراً بعدم السماع، وعندما وصل إليه تيم، أعطاه مزيداً من التعليمات، ثم تابع طريقه إلى حيث النبع الذي تترقرق مياهه تحت أشعة الشمس كالماس.

كانت ريغي أشبه بصبي صغير بقميصها وبنطالها القصير ولكنها كانت تسمن كما لاحظ رويس بسرور.

أصبحت عظامها التي كانت نحيلة مكسوة، وبدا عليها الرضا، فعيناها متألقتان وابتسامتها حاضرة دوماً. وسأل: «كم مضى على وجود تيم؟».

قالت كاري: «بضع دقائق فقط».

وتساءلت في سرها، لماذا لم تشعر بخجل في ثوب السباحة أمام تيم، بينما تشعر أمام نظرات رويس ماكويلان وكأنها عارية تقريباً. كان في نظراته مزيج من الغطرسة والضيق فاستغربت ذلك.

قالت ريغي بحماسة: «دعانا إلى الخروج معه يوم السبت».

فقال: «لا أصدق ذلك».

أومأت ريغي برزانة قائلة: «من الأفضل أن تصدق يا أبي. أليس كذلك يا كاري؟ أظنه وقع في غرامها».

فقالت كاري دون أن يخجلها كلام الطفلة: «كلام فارغ».

فانحنى على وجه الطفلة: «اسمعي. إنه غير متفرغ السبت المقبل».

فاحتجت ريغي: «هذا فظيع. لقد قال إنه موجود».

فقال: «أعلم ما تشعرين به من خيبة الأمل».

وألقى نظرة قصيرة على كاري التي تبدو كالزنبقة ثم أضاف: «تيم ينسى أحياناً أنه موجود هنا للعمل، لقد أمضى عطلته الأسبوعية الأخيرة في المدينة».

فقالت ريغي بحزن: «كنا سنذهب في نزهة».

فاقترح: «لا بأس، سآخذكما أنا».

اندفعت الطفلة إليه تحتضن ركبتيه: «هل هذا وعد؟».

فقال وهو يتلاعب بشعرها: «أنا رجل وعود يا ريغي».

فتأوهت مسرورة: «وأنا أحبك».

والتفتت نحو كاري: «ألا تحبينه أنت أيضاً».

فقالت كاري بعذوبة، شاعرة بوجهها يتوهج: «أبوك رجل رائع».

فقال بسخرية: «آه... شكراً يا كاترينا».

فأضافت: «أعني، كل شخص يقول هذا».

فقال: «فلندعُ الله أن يجعله يوماً رائعاً».

تسمرت عيناه عليها إلى أن شعرت بركبتيها تتخلخلان.

وسألته ريغي، وهي تتمسك بيده: «إلى أين سنذهب؟».

فأجابها: «علي أن أفكر طويلاً.. إذا كنا سنجعله رحلة ليوم كامل يمكننا أن نركب الهلكوبتر إلى الغابة كبداية».

كادت ريغي تجن ابتهاجاً: «أصحيح هذا يا رويس؟ سأكون طيبة جداً. وستحب كاري هذا جداً».

أما كاري فتملكتها الحماسة: «يبدو هذا رائعاً. ولكن ماذا سأفعل مع تيم؟».

ونظرت إلى عيني رويس السوداوين اللامعتين مباشرة فقال: «سأخبره أنا».

***

عندما سمعت لندسي عن الرحلة إلى الغابة الممطرة، قررت أن تذهب هي أيضاً. فقالت وهم يتناولون القهوة: «هذا يمثل نوعاً من التغيير».

فقال لها زوجها: «إذا كان السأم يتملكك، يا عزيزتي، يمكنك الذهاب إلى «بريزبن»، فلك أصدقاء هناك».

ردّت عليه ببرودة: «ليس هناك أية بهجة في الذهاب بمفردي.. كلهم

متزوجون وسعداء. لا أحد يريد امرأة مستوحشة. لو كنْتَ شاباً وجذاباً لاختلف الأمر. أفضل نزهة الغابة».

فقال رويس بنعومة: «عليّ أن أسأل ريغي رأيها، فالرحلة رحلتها».

فغضبت قائلة: «لا يمكن أن تكون جاداً».

أضاف بحزم: «بل أنا جاد تماماً، لأنكما غير متفقتين».

وقال كاميرون برفق: «في الواقع، يا عزيزتي، لقد أذقت الطفلة أوقاتاً صعبة».

طرفت لندسي بعينيها: «هذا كثير.. يبدو أن ريجينا أصبحت اكثر تهذيباً منذ وصول كاري فنادراً ما أسمعها تنطق بالشتائم».

فقال رويس: «ولكنها قد تنفجر إذا أخبرتها بأننا سنأخذ آخرين، ولست بحاجة للقول إنني أعارض مجيئك معنا».

***

عندما سمعت ريغي أن لندسي تريد القدوم، انفجرت كالعاصفة غافلة عن احتجاجات وتبريرات كاري لهذا وتابعت قائلة بغضب: «ستفسد كل شيء. فهي دوماً تفعل ذلك.. ستحتكر الحديث مع رويس طوال الوقت. ولماذا لا يقول لها بصراحة أن ليس بإمكانها المجيء؟».

جلست ريغي على الأرض ودفنت وجهها بين يديها: «كنت أعلم أن تلك الرحلة أجمل من أن تكون حقيقة. لبتها تدوس على حية فتلدغها».

جلست كاري على الأرض بجانب الطفلة: «آه، لا تقولي ذلك يا حبيبتي».

وارتجفت.

ـ يجب أن لا تقولي أشياء كهذه فالله يسمعك.

هزت ريغي كتفيها بعجز: «الله يعلم كم انا عاجزة. ألا يمكنك أن تخبري رويس بأن لا يأخذها، رجاءً؟ إنه يصغي إليك».

فتأوهت: «لا أدري إذا كان سيصغي إلي».

لم تكن سعيدة، هي أيضاً، بمجيء لندسي معهم في الرحلة.

فقالت ريغي: «إنه مسرور جداً بطريقتك في العناية بي. أخبرني هو بذلك وهو لا يحب لندسي. أتريدين أن تسمعي شيئاً؟ هو وجدتي توسلا إلى عمي كاميرون بأن لا يتزوجها. وكان على عمي أن يصغي. يجب أن تسمعي ما تقوله عنها خالتي «إينا».

فأجابت كاري: «لا. شكراً. لا أريد أن أسمع».

فتمتمت ريغي: «حسناً، إنه كلام قذر».

فقطبت كاري جبينها: «هذا سيء جداً. كنت تنتصتين إلى أحاديث الكبار».

فأجابت: «لأنهم كانوا ينسون وجودي.. آه أنا لا أريدها أن تأتي، يا كاري، أرجوك أن تتحدثي إلى رويس».

وهكذا انتظرت كاري تلك الليلة حتى عاد رويس إلى مكتبه، فتبعته قائلة: «هل يمكن أن أتحدث إليك بكلمة؟».

فقال باختصار: «ادخلي، وأغلقي الباب... بإمكانك أن تقفليه».

فقالت: «أليس في كلامك بعض التشدّد؟».

فقال: «إنها الطريقة الوحيدة لإبعاد الناس خارج المكتب».

فسألته متوترة: «وهل أنا المعنية؟».

فأجاب: «لا. لا بأس بك أنت اسألي ما تشائين».

ومنحها ابتسامته الساحرة.

جلست كاري على مقعد مواجه لمكتبه الضخم. ابتدأت تقول: «طلبت مني ريغي أن أرجوك لتمتنع عن اصطحاب لندسي معنا في الرحلة».

رفع بصره عن الأوراق أمامه وقال: «هذا رائع، أنا لا أهين لندسي فقط بذلك، كما تعلمين، بل أهين عمي».

فقالت: «قد تُحلّ بعض الأمور إذا...».

فقاطعها: «إذا أنا طردتهما؟».

فقالت: «ما كنت لأقول بهذه الفظاظة».

بقي صامتاً فترة يحدق إليها: «تعجبينني بالملابس البيضاء فالبياض يدل على نقاء القلب وعلى الطهارة».

فقالت: «إنه منعش في الجوّ الحار. هل أنت واثق من أننا لن نواجه عاصفة».

فسألها برقة: «أتشعرين بحاجة إلى شيء من الإثارة؟».

أجابت: «أنا أسأل فقط عن الليلة فالرطوبة مرتفعة جداً».

فقال: «إنه الحرّ الاستوائي، يا كاترينا».

وقف وأدار المروحة: «أحسن؟».

ونظر إليها، ببشرتها النقية وشعرها اللامع. إنها مثال للصبا، والجمال والعافية وهي تحدث فيه تأثيراً مدمّراً.

قالت: «وبماذا سأخبرها؟».

قال بجفاء وهو يعود إلى كرسيه: «قولي لها إنها هي التي أشاعت الخبر».

فقالت: «كانت متحمسة وقد بادلتها شعورها».

أعلن بحزم: «سأتحدث مع ريغي».

وجدت كاري نفسها تسأله بكآبة: «ألم تطلب منها قط أن تناديك بابا؟».

فأجاب بجفاء: «رويس اسم جيد، وهو مذكور على شهادة ميلادي. أنت واثقة من رغبتك في مساعدتها؟».

فأجاب: «كل ما في الأمر أنه... أن ريغي تحبك كثيراً، وأنا واثقة من أن مناداتها إياك رويس لا يغني عن كلمة بابا فهي من أجمل الكلمات في العالم».

فقال ساخراً: «شكراً لمعلوماتك القيّمة، يا آنسة راسل، ولكن يجب أن تحترمي قراري بالسماح لابنتي بأن تناديني رويس».

عضت شفتها قائلة: «آسفة».

فقال: «أنا واثق من شعورك، فكرة من هي بأن تعطي جادا لريغي

دروساً في الرسم».

فأجابت: «فكرتي أنا. عليك أن تراهما معاً. إنهما تعشقان الرسم بخلافي».

قال: «من المؤكد أن لديك مواهب أخرى غير الموسيقى».

وضاقت عيناه.

- إذا لم تعودي إلى البيانو بأسرع وقت، ستنسين العزف.

فقالت: «البيانو مغطى».

ردّ بسخرية: «يا له من عذر! سأطلب نزع الغطاء. أتفهم خيبة أملك، يا كاترينا ولكننا اتفقنا، كما أظن، على أن لا تبالغي في ذلك، حاولي أن تتخلصي من الألم. أنا مهتم من كل قلبي بأن تتخلصي من الماضي. أتحبين أن تعزفي شيئاً ما؟».

فقالت بعنف، متراجعة: «لا».

ردّ برصانة: «لا بأس، ليس الليلة. فربما تريدين أن تتمرني أولاً».

نظرت إليه، وعيناها الذهبيتان الكبيرتان تلتهبان: «أنا أكرهك».

استند إلى الخلف ببساطة: «يمكنني احتمال ذلك.. ولكن إذا جرؤت على تكرار هذه الكلمة، فسأنهي عملك هنا».

فتبخر غضبها: «أحقاً ستفعل؟».

فقال: «لا، فأنا أقدّر خدماتك كثيراً. والآن، يا كاترينا، لدي عمل عليّ القيام به، أخبري ريغي، بأنه لن يكون في الرحلة سوانا نحن الثلاثة، ولكن بشرط أن تقفل فمها».

سألته: «أتقول إنك ستطلب من لندسي أن لا تأتي؟».

فقال: «أتشكين بشجاعتي؟».

فقالت وهي تنهض باسمة: «لا. أتصور أنّ بإمكانك أن تعالج أي موقف كان».

* * *

كانت كاري تسير على الشرفة عندما خرجت لندسي من غرفة جلوسها

الخاصة ونادتها، قائلة: «هل يمكنك أن تمنحيني دقيقة من وقتك الثمين؟».

لم تحمل التحية أي مودة ولكن كاري أجابت بسرور: «بكل تأكيد، يا سيدة ماكويلان؟».

لقد لاحظت أن لندسي تحب الرسميات في التخاطب، فقالت لندسي تشير إليها بدخول الغرفة: «تفضلي».

كانت الغرفة مؤثثة بفخامة فلندسي تحب البذخ اكثر من أي شيء آخر، كما لاحظت كاري لأنها لم تر لندسي قط في نفس الثوب مرّتين، وجميع ملابسها تحمل توقيع أشهر المصممين.. والليلة ارتدت ثوباً بلون الياقوت، يبرز لون عينيها، ويتلائم مع حذائها الخفيف. كان بإمكانها أن تلبسه في أكثر الحفلات أناقة.

ومع ذلك شعرت كاري بالشفقة عليها مرة أخرى، متسائلة أين وكيف تعرف السيد كاميرون على زوجته وتزوجها بالرغم من كل شكوك الأسرة.

قالت لندسي بلهجة اتهام عنيفة: «رأيتك تتبعين رويس إلى مكتبه. لماذا فعلت؟».

شعرت كاري بأعصابها تتوتر فقالت: «إنها مسألة خاصة يا سيدة ماكويلان وتتعلق بريغي».

فالتهبت عينا لندسي: «ألا تظنين أن ملاحقتك لرويس زادت عن حدها؟».

استطاعت كاري أن تقول بهدوء: «لا أظن ذلك أبداً. ولا أفهم لماذا تتهمينني بذلك، ما الذي تريدين حقاً أن تحدثيني عنه يا سيدة ماكويلان؟».

فقالت لندسي: «الحمد لله أنك لست غبية. أريد أن أحذرك من الوقوع في حب رويس. ولا أستطيع منع نفسي من التقدير بأنك سائرة على هذا الدرب حتماً».

فقالت كاري دون تفكير: «يبدو أن هذه هي العادة هنا».

فانتصبت لندسي في جلستها، وحركت شفتيها دقيقة قبل أن تقول وقد بدت على وجهها علامات الاستغراب: «لم أسمعك جيداً».

فقالت كاري بحدة: «اسمعي. لا أريد أن أكدرك، ولكن من الواضح جداً أنك منجذبة إلى رويس».

أخذت لندسي تحدق بها: «يا لها من وقاحة هائلة! كيف تجرؤين؟».

ذعرت وأخذ صوتها يرتجف فقالت كاري بهدوء: «أنا أحاول أن أكون صديقة لك، فالوضع مؤسف بالنسبة لك».

فصرخت لندسي بحدة: «هذا ليس من شأنك. أذكّرك بأن حديثنا يتعلق بك».

فقالت كاري: «آه! لا، ليس عني. أنا لست عدوّتك هنا، يا سيدة ماكويلان. وأنا لا أسمح للنساء بأن يهاجمنني، لقد سبّبت لنفسك بهذا».

فقالت وهي تطرف بعينيها: «ونالني الأذى فعلاً من ذلك».

فقالت كاري: «أنا آسفة. آسفة حقاً».

قالت لندسي تحذرها وعلى وجهها تعبير غريب: «ستكونين أكثر أسفاً إذا حاولت يوماً أن تقفي بين شارون ورويس».

فسألتها كاري: «أتعنين مسز ماكويلان السابقة؟».

لم يجر الحديث أبداً حسب ما ارادته لندسي، التي قالت ببرودة بالغة: «يا عزيزتي، هناك الكثير مما لا تعرفينه».

فقالت كاري تحذرها بدورها: «من المحتمل أن يكون هذا صحيحاً إنما، لو كنت مكانك، لما رضيت بأن أسمعه من شخص مثل صديقتك إينا.. ولو كنت مكانك لحاذرت منها».

تغيّر لون لندسي بشكل غريب. وسألتها: «وعما تتحدثين؟».

أجابت كاري: «مجرد أقاويل. كوني أكثر حذراً إذ لا يمكن الوثوق بها حتماً».

جذبت لندسي نفساً عميقاً مرتجفاً وتبدد غضبها على الفور، وقالت:

«اسمعي. من الذي أعطاك كل هذه المعلومات؟ هل هي الجدة؟ أنت تمضين معها المزيد من الوقت».

هزت كاري رأسها بشكل قاطع: «السيدة ماكويلان لا تهتم بالأقاويل.. إنها تخبرني بقصص عن الأيام القديمة في براري الساحل، أنا أحب كثيراً الاستماع إليها وهي إلى ذلك امرأة فريدة وأنا أستمتع بصحبتها».

بدت السخرية على وجه لندسي: «يا عزيزتي، ألا تظنين أنني أعلم هذا؟ لقد بذلت كل ما بوسعك في التزلف منذ جئت إلى هنا حتى أنك جعلت كاميرون، العجوز المسكين يأكل من يدك؟».

فقال كاري: «زوجك رجل طيب للغاية، رقيق وساحر».

فانفجرت لندسي تقول: «لا. إنه ليس كذلك فهو سافل، ليس لديه ما يعطيني إياه! ظننت أننا سنسافر إلى أنحاء العالم، ونستمتع بأوقاتنا فإذا به لا يحتمل مغادرة بيته اللعين».

فقالت لها كاري: «من المؤكد أن بإمكانك إقناعه بأنك تريدين بيتاً لنفسك. ستتحسن مشاعرك كثيراً في بيئة مختلفة. ألا تريدين أطفالاً؟».

شحُبت لندسي: «لا. لا أريد. لم أحسب حساباً للأولاد قط، أريد حياة».

فقالت كاري: «إذاً، رأيي أن تبتعدي عن مارامبا».

سكتت لندسي، لتستوعب نصيحة كاري الصريحة، وأخيراً سألتها: «لماذا أدعك تتحدثين إليّ بهذه الطريقة؟».

فأجابت: «أظنك بحاجة إلى من تفضين إليه بما يعتمل في صدرك».

فقالت لندسي: «هذا صحيح».

وسارت إلى باب الشرفة وهي تتابع قائلة: «أنت نفسك مغرمة به. لا تزعجي نفسك بالإنكار فنحن النساء نفهم بعضنا بعضاً تماماً».

فقالت كاري: «أنا أعرف حدودي يا سيدة ماكويلان، فأنا هنا بصفتي مربية لذا لا افكر في البوح بأفكاري في أذنيك. وعلى ذكر ريغي، هل لي

أن أطلب منك عدم حشو ذهنها بقصص عن الأرواح الشريرة في قاع البحيرة؟ إنها تتظاهر بالقوة ولكنها ليست سوى طفلة فأنا بسبب تلك القصص المرعبة لا أستطيع أن أبدأ بتعليمها السباحة».

بررت لندسي الأمر بصعوبة بالغة: «قلت لها ذلك فقط لأبعدها عن الماء. إنها مجنونة. وهي تشبه أمها كثيراً فشارون غير متزنة أبداً. طبع شارون متقلب دوماً بين الكآبة والبهجة. والطفلة مثلها».

فأجابت كاري بفتور: «هذا ما لا أقبله. إن إهمال ريغي جعلها متعطشة إلى الحب والحنان».

ابتسمت لندسي لها بمرارة: «إذاً، فهذه هي الخطة؟ ستجعلين من نفسك ضرورية لتحصلي على رويس؟».

فقالت كاري وهي تقف: «يبدو أن حديثنا قد انتهى. أنا لست ممن يحسن المناورات ولا أحيك خطة فلدي هموم تكفيني قبل أن أتمكن من صنع خطط بنفسي، يمكنني فقط أن أخبرك بأنني لست عدوتك، فلا تعامليني تبعاً لهذه الصفة من فضلك».

***

كانت الرحلة إلى الغابة، من دون لندسي، رائعةً بالنسبة إلى كاري وريجينا. كان رويس قد اتخذ مرشداً قادهم عبر جزء من أكبر الغابات الاستوائية. كانت دافئة ومعشوشبة زاخرة، فيها أشجار ضخمة متشابكة تحتها الأرض مغطاة بنباتات متعددة مثل الطحالب والخنشار.. كان يوماً شديد الحرارة، كل شيء فيه هادىء ساكن... وكانت النباتات الطفيلية تزين بكثرة جذوع الأشجار والصخور العارية، بينما مجموعات الأزهار الرائعة تتناثر على جذوع الأشجار العملاقة.

ولاحقاً تعبت ريغي، فحملها رويس وأعادها إلى طرف الغابة الممطرة حيث الفراشات الملونة تتجمع أسراباً بالآلاف. تمتعوا بألوان الطيور البراقة التي تصعب رؤيتها في عتمة الغابة وبين أغصان الاشجار المتشابكة. كان يوماً رائعاً لم يدم حتى آخره.

عندما وصلوا إلى «مارامبا» في أواخر العصر، استقبلهم مراقب العمال الذي كان ينتظره لإخباره بأن طائرة مستأجرة قد حطت بعد الظهر حاملة شارون ماكويلان على متنها!

حملقت ريغي بدهشة وسألت: «ماما!».

وتمتم رويس بمرارة وهو يهز رأسه غير مصدق: «يا لجرأتها اللعينة!».

فسألته ريغي وهي على وشك البكاء بعد نهار سعيد، قائلة: «أنتما لن تتشاجرا، أليس كذلك يا رويس؟».

استعاد رباطة جأشه على الفور: «لا، طبعاً لن نتشاجر، يا حبيبتي. فلنذهب لنرى ما تريد».

وعندما اندفعت ريغي إلى «الجيب»، قال رويس لكاري: «ها قد بدأت المتاعب وحلّ الإزعاج».

وقفت كاري مكانها، تتملكها المشاعر المزعجة، ذعر ولهفة وغيرة، لم تستطع التغلب عليها، والأسوأ من ذلك أنها شعرت بنفسها مهددة نتيجة علاقتهما الخاصة التي بدأت تتمتن أواصرها.

قال لها: «قد يكون من الأفضل أن تبتعدا، أنت وريغي إلى أن أستفسر عن سرّ قدومها».

فسألته: «أتعني أن نبقى بعيدتين عن الأنظار؟».

لم تكن واثقة كيف ستفعل ذلك... بل لم تكن واثقة من أنها تريد أن تفعل ذلك.

فقال بخشونة: «شارون لم تأت لترى ريغي. ألا تظنين أنني كنت أود ذلك لمصلحة الطفلة؟».

تدبرا طريقة للتسلل إلى المنزل دون أن يقابلا أحداً، وطلب رويس من كاري أن تأخذ ريغي إلى الطابق العلوي.

أطاعته وهي ترتجف من الداخل بعد أن استوعبت الخطر. أرادت أن

تبقى بقربه فمن الواضح أنه كان منزعجاً للغاية مثلها تماماً. أية سلطة لهذه المرأة عليه؟ تُرى أما زال يحبها؟ وتملكها العذاب وهي تفكر بألم في نقص خبرتها. إذا كان رويس يحبها فكيف ستواجه ذلك؟ إن شارون امرأة مدمرة ولكنها شهوانية وسيدة مجتمع من الطراز الرفيع. أترى ما زال لديهما مشاعر لا يريدانها؟

وضغطت على يد ريغي بشدة، داعية الله أن تحافظ الطفلة على هدوئها، ثم صعدتا إلى الشرفة حيث رأت جادا تشير إليها من بعيد. فقالت للطفلة: «جدتك تريد أن تراانا».

فقالت ريغي بصوت أبح: «جدتي لا تحب أمي».

قالت كاري تطمئنها: «كل شيء سيكون على ما يرام يا حبيبتي، فلا تقلقي. أمك وأبوك راشدان، ويمكنهما أن يتحدثا بطريقة الراشدين».

فقالت ريغي وهي تتشبث بيد كاري: «أنت لم تري ماما عندما تُجن. يمكنها أن تخمش كالهرة، ربما هي تريد أن تبقى هنا».

فسألتها كاري: «وهل تريدينها أنت أن تبقى؟».

فشارون هي بالنتيجة أم لهذه الطفلة. فقالت ريغي وكأنها تحسم الأمر: «تقول جدتي إن ماما لا تعرف كيف تتصرف».

فسألتها كاري: «وهل قالت جدتك هذا لك؟».

فأجابت: «لا. بل كانت تتحدث إلى رويس».

فقالت كاري تحذرها: «يجب أن تمتنعي عن التنصت على ما يقوله الكبار، يا ريغي، فهذه خطيئة».

استنكرت الطفلة: «لا، هذا ليس صحيحاً، ليس صحيحاً أبداً.. إنها طريقتي في معرفة ما يحدث».

وكان الأمر فعالاً، أقرّت كاري لنفسها.

أدخلتهما جادا إلى غرفة الجدة «لويز ماكويلان»، وكانت كاري قد ألفت هذا الجناح الغربي من المنزل حيث أمضت أوقاتاً حافلة بالمودة مع العجوز..

قالت السيدة بصوت حزين: «شارون في المنزل».

تقدمت كاري منها، وأمسكت بيدها برفق. وقالت: «أنا واثقة من أن كل شيء سيكون على ما يرام، يا سيدة ماكويلان، أنت تكدرين نفسك دون مبرر».

فأطلقت السيدة العجوز ضحكة جوفاء: «من الصعب أن لا أتكدر، يا عزيزتي».

وعادت تستلقي على الوسائد، وتبعت ريغي كاري إلى السرير وهي تقول بعاطفة فياضة بالنسبة لطفلة صغيرة: «سأعتني بك يا جدتي، ربما جاءت ماما لتكون صديقة ودوداً».

انهمرت الدموع من عيني لويز ماكويلان. وقالت لها: «أنت فتاة طيبة يا ريغي. هل لك أن تذهبي مع «جادا» دقيقة، ريثما أتحدث مع كاترينا؟».

فأجابت: «بكل تأكيد يا جدتي».

وانحنت ريغي وقبلت يد الجدة على غطاء السرير ثم سألت: «وماذا سنفعل إذا ما طلبت استعادتي؟».

فسألتها الجدة بلطف بالغ: «وهل تريدين أنت أن تذهبي؟».

فأجابت: «لا أدري، لا أظن ذلك».

وسكتت لحظة ثم عادت تقول: «ربما لعطلة فقط، لكنني أريد أن أكون هنا في عيد الميلاد، لا أريد أن أذهب إلى أي مكان من دون كاري».

وبدا عليها الاضطراب.

أمسكت جادا بيد الطفلة باسمة وهي تقول: «تعالي، يا صغيرة، لدي شراب لذيذ لك، دعي الجدة تتحدث إلى كاري الآن».

ذهبت ريغي معها مذعنة إلى غرفة جلوس قريبة، وانتظرت ريغي معها مدة طويلة.

- يا كاترينا، أشعر بأنني أعرفك، وأثق بك. أعلم أنك مهتمة جداً بسعادة ريغي وعليّ أن أخبرك بأنني قلقة ولا أستطيع إخفاء ذلك. لا أعلم

هدف زيارة شارون المفاجئة. . أعتقد أن هناك من يزودها بالمعلومات. لقد اختارت توقيتها بعناية. لكم أود أن أظن أنها اشتاقت لرؤية ابنتها ولكننا جميعاً نعرف العكس، خوفي الكبير هو أن تحاول شارون أن تستغل ريغي بطريقة ما.

سألتها كاري حائرة: «أتعنين عقد صفقة أو مقايضة؟».

فقالت الجدة: «إنها لا تتمتع بأخلاق رفيعة. . . أريدك أن تبقي قريبة من ريغي».

واستجمعت كاري الشجاعة الكافية للسؤال: «هل هناك شيء لا أعرفه، يا سيدة ماكويلان؟ شيء قد يساعدني في القيام بعملي».

حركت الجدة يديها المجعدتين: «إحذري فقط، فطبع رويس حاد وعلى شفير الانفجار. ستقوم شارون بكل ما في وسعها لإثارته فهي لا تستطيع أن تفلته. ولكن، من غير المسموح لها أبداً، أن تدخل هذه الأسرة مرة أخرى».

سألتها كاري باهتمام: «ولكن ماذا بالنسبة إلى ريغي؟ أليس في قلب أمها معزة لها أبداً؟».

عضت الجدة شفتها: «الحقيقة الفظيعة هي أن شارون لم ترغب بريغي منذ ولادتها، ولم تحبها قط أو تعطف عليها، لذا اضطر رويس إلى إحضار ممرضة. وأعتقد أن ريغي كانت نتيجة حمل غير مرغوب فيه، وهكذا توجب على الصغيرة المسكينة أن تدفع الثمن».

نظرت إليها كاري بارتباك: «ولكن امرأة تحب زوجها بجنون لا بد أن تشعر بالسعادة لحملها ولد منه؟».

بدا الأمر مبهماً بالنسبة إلى كاري.

قالت الجدة: «ربما هذا صحيح لو كانت تشبه شارون. فشارون في صغرها كانت فتاة جميلة جداً وعندما تكبر ريغي فقد تحصل على حقها».

قالت كاري بإخلاص: «إنها ذكية جداً».

فقالت الجدة باكتئاب: «كان الأفضل لها لو أنها مجرد فتاة صغيرة عادية. إنها فتاة حساسة وقد تألمت كثيراً. ابقي بجانبها لتساعديها، يا كاترينا، هذا كل ما أطلبه».

* * *

www.elromancia.com

٨ ـ في أعماق البحيرة

قدمت مدبرة المنزل اليهما الطعام في غرفة كاري، فبدت الآن لطيفة على غير عادة وهي تقول لريغي:

ـ لقد صنعت لك المعكرونة التي تحبينها، يا ريجينا، وحلوى الشيكولاته التي أرجو أن تستمتعي بها. وسلطة الدجاج لأجلك يا كاري مع كرات خبز طازجة، فهمت أن هناك عشاء الليلة للأسرة.

لم تتحدث عن شارون، لكنهن جميعاً كن مدركات للوضع.

بعد خروج مدبرة المنزل، جرّت كاري عربة الطعام إلى الشرفة، ووضعت كرسيين ثم شجعت ريغي على تناول طعامها. لقد فقدت كاري شهيتها للطعام، ولكنها تظاهرت بالاهتمام بطعامها اللذيذ لأجل الطفلة. ورغم أنها كانت تتوقع في أي لحظة، أن يُطلب منها أن تُنزل ريغي لترى أمها، إلا أن أحداً لم يأت حتى أن الطفلة نفسها تخلت عن الترقب ولم تعارض في الذهاب إلى السرير، وأغمضت عينيها وكأنها تريد أن تهرب من وضعها البائس.

***

بعد ليلة خانقة، ايقظت الريح كاري.. فقد هبت الريح واندفعت بشكل عاصف إلى غرفة كاري فرفعت الستائر الشفافة التي أصاب طرف إحداها تحفة من التحف فتصاعد صوت تهشم وهتفت كاري: «تباً لهذا».

وكان قد تملكها دوار بسبب الحر والرطوبة، فقفزت من السرير.

حيث تمكنت من أن ترى لمعان البرق الذي كشف أمامها العالم.

أغلقت باب الشرفة بسرعة وأعادت الستائر لتخفي وميض البرق.

فبعد معاناة الليلة السابقة، لم لا تأتي عاصفة عاتية وتنظف الجو المغبرّ؟ ولكن، قد تكون هذه العاصفة خطرة.

كادت الستائر تتمزق وفكرت بريغي. لم تشأ أن تستيقظ الطفلة وأن يتملكها الذعر فأرادت أن تتأكد من أن مصاريع النوافذ مثبتة جيداً داخل الغرفة.

لم تهتم بلبس مئزرها، وتوجهت إلى الثيراندا نزولاً نحو غرفة ريجينا. كانت الريح تعصف بشعرها الطويل، فيلتف حولها. وبدا كأن قميص نومها على وشك التمزُّق إرباً وبدأ المطر ينهمر بغزارة ولكنه كان ساخناً.. ركضت بحثاً عن ملجأ ما وكانت محنية الرأس لتحمي نفسها من المطر، وإذا بها تصطدم بشخص خارج غرفة ريغي.

مضت لحظة أجفلا فيها معاً. كانت ذراعاه تطوّقانها وتتشبثان بها وكأنها طيف ألقت به العاصفة.

تمتم رويس بصوت أبح: «يا لله، ما الذي لديّ هنا؟».

ويا له من سؤال! فهل هناك سواها يشعره بمثل هذه المشاعر؟.

كانت ترتدي قميص نوم قطنياً رقيقاً مزيناً بالدانتيل. كان القميص ملتصقاً بجسدها، يحمل عطرها. لم تقاومه. فقد ذابت عظامها كما يبدو، بينما كان يقفان هناك لمع البرق في تلك الليلة الحالكة السواد وهتف باسمها بشغف: «كاترينا».

وسرت المشاعر في كيانه وتملكته حاجة مفزعة ولكنها ليست قرباناً لمزاجه الخطر، إنه يحبها وذلك منذ اللحظة التي عرفها فيها.. كان كل شيء يقوده إلى نقطة التحول تلك في حياته ولكن هذه القوة الدافعة تشكل خطراً عليهما معاً. همست كاري وهي تنظر بقلق إلى جسد الطفلة المتكوّر في سريرها وهي مستغرقة في النوم: «كنت أريد أن أغلق النافذة».

فقال: «وأنا أيضاً فكرت في ذلك».

وتركها فجأة محاولاً أن يتغلب على الإحباط الذي يشعر به، ثم عاد يقول: «لماذا لا تعودين إلى غرفتك بينما أغلق أنا النافذة؟ عليك أن تغيري قميص نومك على كل حال، فالجوّ رطب».

وكان ما يزال مرتدياً ملابسه. فهو لم يذهب إلى سريره بعد لانزعاجه البالغ من زيارة زوجته السابقة وتعقيدات تلك الزيارة بالنسبة إلى ريجينا، والغريب أن شارون لم تطلب على الفور رؤية ابنتها، كما يفترض بكل أم في العالم فقد أوضحت أنها ستراها في الصباح وتقدم إليها هدايا مبكرة لعيد الميلاد. لم تلاحظ شارون نظراً لغرورها أن قدومها سبب له الكثير من الأزمات. إن ولادة ريغي الصغيرة والبريئة قد دمّرت أي شعور بالحنان لديه نحو شارون، رغم أنه لم يعلم بأن ريغي ليست ابنته إلا بعد سنة ونصف من ولادتها... أغلق رويس المصاريع الخشبية وترك باب الڤيراندا مفتوحاً مستبعداً أن يصل المطر منها إلى داخل المنزل، وكانت ريغي غارقة في أحلامها فتمنّى لو تكون أحلامها سعيدة وهانئة.

أمسك بيد كاترينا متجهاً بها إلى غرفتها. كان رذاذ المطر، يثير ضباباً أزرق مع كل لمعان للبرق. ولكن ما كادا يصلان إلى غرفة كاري حتى تغلبت عليه مشاعره، وتأوّه بعنف وكأن مشاعره المحمومة، وتحكمه بمشاعره يتصارعان في داخله، وأحنى رأسه معانقاً إياها برغبة وشوق. كان شوقه وحبه لها قوياً، قوياً بحيث لم يسمع هدير الرعد. كان يشعر بالضيق من نفسه! فكم مفروضاً على الرجل أن يتحمل وهو يرى هذه الشابة تحت سقفه، شابة ماهرة في التعامل مع طفلة مزعجة كابنته بألطف السبل؟ شابة يراها داخلة، خارجة، يتعشى معها في الليل ويراها خلف أجفانه عندما يغمضهما آخر النهار لينام.

عندما رفع وجهه لحظة، لمح شبحاً يتحرك، فانتبه على الفور. شخص ما كان يسير على الڤيراندا، امرأة. ولم يضيّع وقتاً. لم يكن هذا وقت مواجهة مفزعة. حمل كاري عائداً بها إلى غرفتها حيث قال لها: «اذهبي إلى سريرك!».

ثم اتجه إلى الباب بسرعة بالغة، ووجدت نفسها تطيعه. ورغم أنها كانت مبالغة تقريباً، فقد جلست على حافة السرير تنظر إليه وهو يقفل باب الشرفة بالرتاج.. لم تفهم كاري شيئاً، ولكنها كانت تثق به من كل قلبها.

بعد ذلك بلحظات، كان رويس يقف متوارياً في الظلام ثم لاح طيف امرأة خارج الباب المقفل، فأطلقت كاري، من الفزع، صرخة مختنقة ضاعت في صخب الليل.

شارون! وانقلبت على ظهرها، نصف مغمضة، متظاهرة بالنوم. أضاء البرق الغرفة، فحدّقت شارون إلى الداخل، ثم أخذت تهز الباب محاولة فتحه ولكنها لم تنجح في ذلك، وعندما استدارت كاري لتنظر إليها، كانت قد ذهبت.

نهضت كاري على الفور وهي ترتجف، وأسدلت الستائر الشفافة على النوافذ وباب «الڤيراندا». ثم استدارت تسأل رويس الذي تقدم من جوف الظلال ليقف بقربها: «هل من الممكن أن زوجتك حسبتك في فراشي؟».

فقال: «بل زوجتي السابقة».

ثم أخذ يضحك.

فقالت بصوت خافت: «لا يمكن أن تكون سليمة... فهي لا تريد أن ترى طفلتها حتماً، ما هو تفسيرها للموضوع؟».

رد ساخراً: «ليس لدي وقت يا كاترينا فالوضع جعل مني مجنوناً».

فقالت: «هل ستنتظر إذاً حتى تأتي من الباب الآخر؟».

فهز برأسه: «أرجو أن يكون خطر ببالك إقفاله».

فقالت: «لقد أقفلته فعلاً، تحسباً لأي طارىء».

أومأ برأسه وكأنه فهم بالضبط: «لقد مضى الوقت على إمكانية التحاور مع شارون بعقلانية فقد وصلتْ حالها إلى حد يجعلني أطردها».

فقالت: «لقد جلبت إليك كثيراً من التعاسة، أليس كذلك؟».

أومأ بكآبة: «نعم، لكن ريغي هي التي عانت الأمرّين».

فسألته بهدوء: «وماذا ستفعل الآن؟».

ضحك بصوت منخفض ولكن بخشونة: «هل لديك ماء؟».

قالت: «بالتأكيد».

ثم سارت على السجادة، وإذا بها تشهق شاعرة بوخز في قدمها: «آه! لا».

فسألها بإحباط مشوب بالغضب: «وماذا حدث؟».

أجابت: «لقد جرحت قدمي؟».

بدا عليه القلق والاهتمام: «وكيف حصل ذلك؟».

فأجابت: «لقد أوقعت الستارة تحفة فانكسرت، آسفة».

فقال ضاحكاً وكأن المزاح خفّف الجوّ المشحون بينهما: «لا بأس، سأحسم ثمنها من راتبك، تعالي إلى الحمام».

ولم يستطع منع نفسه من وضع يده على كتفها.

فقالت: «قد ينزف الجرح على السجادة العجمية الثمينة».

فقال: «حسناً، سأحملك إذاً».

وانحنى وحملها فقالت ممازحة بهدوء: «قد أتعود على الدلال، يا رويس ماكويلان، فانتبه».

فأجاب: «ألم يخطر في بالك أنني لا أريد منك أن تبتعدي أبداً».

وأغلق الباب أولاً ثم أشعل الضوء، أجلسها على مقعد رخامي قبل أن يمسك بقدمها برفق، وهو يقول: «هذه هي نتيجة الركض حافية».

وتفحص الجرح جيداً ثم قال: «تباً لذلك، هناك شظية صغيرة دخلت الجرح، هل تشعرين ببرد؟».

ونظر إليها، فقالت: «أنت تمزح، فأنا أتصبب عرقاً».

وضحكت وهي تمد يدها إلى منشفة تمسح بها وجهها وعنقها.

- ولكنك أكثر بللاً مني.

واهتز صوتها قليلاً وقد تملكتها المشاعر. كان شعره الفاحم يلمع في الضوء، وقد حوّله المطر خصلاً. وبشرته البرونزية بدت رائعة أمّا القميص الناعم الذي ارتداه على العشاء فقد اشتدت زرقته بسبب المطر.

قال وهو يسير إلى علبة الاسعاف المعلقة على الجدار: «قدماك جميلتان جداً كيديك».

علّق رويس بذلك خلال مداواته جرحها، فقالت باسمة: «أسمع هذا الكلام منذ كان عمري يومين».

فقال: «يا لك من محظوظة».

فقالت: «ألا تصدق هذا؟».

ونظرت في عينيه اللامعتين وقلبها يخفق بعنف. فقال باهتمام: «بل أصدقه. يمكنني أن أرى المستقبل، يا كاترينا، ورأيي أن مستقبلك باهر».

سألته: «هل تؤمن بالقضاء والقدر؟ والقسمة والنصيب؟».

فأجاب: «بكل تأكيد. إنها قسمة والداي أن يموتا في حادث تحطم طائرة. وهو نصيبي الذي جعلني أتزوج بشارون لأطلّقها بعد ذلك. جدتي لا تنفك تخبرني بأن القدر سيتدخل في حياتي مرة أخرى، وهذه المرة سأجد المرأة المناسبة، المرأة التي ستسحرني من أول نظرة».

أخذت كاري تتوسل بصمت أن ينظر إليها. لقد منحته قلبها، ولا يمكنها أن تستعيده.

فسألته: «وهل تعرف اسمها؟».

كان صوتها خافتاً حتى أنها تساءلت إن كانت تكلّمت فعلاً، فقال أول اسم خطر له، وهو يغيظها: «سوزان».

فقالت: «أحقاً؟».

وتفحصت وجهه بعينيها الذهبيتين ولمحت السخرية، فقال: «تعلمين أنه لا يمكننا البقاء هنا، يا كاترينا».

كانت حواسه واعية لقربها ولمنظر جسدها، وشعرها الناعم المنسدل على كتفيها، بدت مثيرة إلى درجة لا تصدّق، ومع ذلك صغيرة وبريئة.

ووجد نفسه يسألها: «ألم يحدث أن حظيت بحبيب قط؟».

أغمضت عينيها محاولة إخفاء مشاعرها وأجابت: «لا».

قالت ذلك بصدق. لقد ظنت يوماً أنها وقعت في الحب ولكنها

أدركت خطأها سريعاً. فتحت عينيها ثم حدقت فيه: «لقد جعلتني حزينة، يا رويس ماكويلان».

فقال: «لا أصدق هذا. لا أستطيع».

وضغط بأصابعه على النبض في عنقها.

فقالت: «لم تعذبني إذاً؟».

اعترافها جعله يشعر بالاعتزاز وسألها: «أحقاً؟».

لم يكد يشعر بأنه تحرك ومع ذلك امتدت يده تلامس عنقها النابض: «كاري، ما الذي نفعله؟».

لم يستطع منع نفسه من احتضانها بقوة، بشغف. وتصلّب جسدها وشهقت تستنشق الهواء بعمق.

كادت ركبتاها تخونانها ولكنها تمكنت، بشكل ما، من أن تتراجع نحو الباب، وتمتم من خلال أسنانه البيضاء المطبقة: «أنا أتصرف كمعتوه».

وتخلل شعره بأصابعه فقالت تحمل نفسها مسؤولية ما حصل: «أنا التي تجاوبت معك».

فقال بخشونة: «ستكونين لي يا كاترينا ولكن في الوقت والمكان المناسبين. لا يمكنني أن احتمل كرهك لي في المستقبل».

ودار رأسها بهذه الفكرة. تكرهه؟ إنها تحبه. ولا تستطيع أن تفعل شيئاً إزاء ذلك. وقالت له: «كيف تقول كلاماً كهذا؟ لقد غيرت حياتي!».

قال برزانة: «وكذلك عقّدتها، ثمة أشياء لم أخبرك بها لأنني كنت أشعر بأنني مقيَّد».

تألق وجهها رغبة في مساعدته وقالت: «أخبرني بها إذن».

فالتوت ابتسامته: «ليس الآن، لا يمكنني أن اكون معك بهذا الشكل، فكل همي محصور حالياً بمشاعري تجاهك».

ثم أضاف مكتئباً: «شارون امرأة مريضة نفسياً، متقلبة المزاج بين الاكتئاب والبهجة. ومهما حدث، لا أريدك أن ترحلي. أتعدينني

بذلك؟».

ولمس خدها، فحدقت في عينيه اللامعتين، وقالت: «اطمئن لن أرحل».

ابتسم لها عابساً ثم قال وهو يفتح لها الباب: «سأتمسك بوعدك هذا».

* * *

سألت ريغي: «هل سترغب ماما في أن تراني هذا الصباح؟».

فالتوى قلب كاري. كانت تخرج ثياب الطفلة لتلبسها اجمل ثوب يمكن أن تجده. وكانت كاري تعتزم القيام بالتسوق في المدينة لتشتري للطفلة ثياباً عصرية بألوان متألقة، كما ستأخذ ريغي لتقص شعرها هناك أيضاً. تتمتع الطفلة بشعر جميل ولكنه غير منظم بخلاف شعر والدتها ولونه:

ـ سننزل إلى الطابق الأسفل، إذ لا يمكننا، نحن الاثنتين، أن نبقى مختبئتين هنا. ما قولك؟.

ارتدت ريغي بلوزتها وضحكت: «هذا يناسبني. لم أر أمي منذ زمن طويل».

فقالت كاري: «سنريها أي فتاة مرحة مهذبة أصبحت».

فسألتها: «وكيف ذلك؟».

فأجابت: «لأنك حسنة السلوك ودائمة الابتسام».

بعد عاصفة الأمس، كان الجو صحواً متألقاً. أمسكت كاري بيد الطفلة، ثم نزلنا إلى غرفة الطعام حيث وجدت شارون ولندسي جالستين معاً وعندما رأتهما هاتان المرأتان رفعتا أعينهما ببرودة عدائية.

قالت كاري ببشاشة: «صباح الخير».

وكانت تتوقع أن تترك ريغي يدها وتندفع إلى أمها لكن ذلك لم يحدث. فقد بقيت الطفلة بجانبها، وبدلاً من أن تفتح شارون ذراعيها لابنتها، قالت تخاطب كاري: «هكذا إذن، أنت المربية الجذابة والمتعددة

المواهب. لم تجدي الشجاعة قط لكي تعترفي بشخصيتك الحقيقية».

كانت مواجهة صعبة، لكن كاري لم تضطرب: «أنا آسفة، فقد أربكتني، يا سيدة ماكويلان. أنت تتكلمين وكأنني ارتكبت جرماً».

فقالت: «حسناً، أليس هذا جرماً؟ ملاحقة رويس. أين أمضى الليلة الماضية؟».

فأجابت كاري بهدوء: «لم لا تسأليه، أنا ذاهبة فربما تريدين أن تتحدثي إلى ابنتك».

فقالت شارون صارخة فجأة بعد أن فقدت السيطرة على غيرتها: «لا. لا تذهبي. طفلتي ليست بحاجة إلى مربية. لقد جئت لكي آخذها من هنا».

نظرت لندسي إلى شارون بذعر: «شارون؟».

فقالت شارون مهددة: «ابقي أنت بعيدة عن هذا الأمر، يا لندسي، لا تنسي أنني أستعملك فقط حين أحتاج إلى معلومات».

فوقفت لندسي قائلة: «أحقاً؟ لست مضطرة للاستماع إلى كلامك الجارح!».

صاحت شارون: «اخرجي إذن».

حاولت كاري تدارك الموقف المتأزم أمام الطفلة: «سأحضر ريغي في وقت آخر».

فصاحت شارون: «اووووه... ما هذا الاسم».

فأجابت الفتاة بلهجتها المحاربة: «انه اسمي. ألست سعيدة أبداً برؤيتي؟».

قالت ذلك وهي تشمل بنظراتها قوام أمها الرائع في قميصها الوردي وبنطلونها الضيق.

واجهتها شارون ثائرة: «لا أذكر أنك حييتني بالضبط. أنت غير مهذبة أبداً. تعالي وقبليني!».

فقالت ريغي: «لا أريد».

كانت مجرد طفلة تحاول أن تحمي نفسها من الشتائم، وقالت كاري وهي تفكر في ضرورة اصطحاب الطفلة بعيداً: «إنها لم تتناول فطورها بعد، سآخذها إلى المطبخ».

فسألتها شارون ببرودة: «وما دخلك أنت؟».

فصاحت بها ريغي: «إنها مربيتي. أنا أحبها أما أنت فتثيرين في نفسي الخوف والاشمئزاز».

قفزت شارون مندفعة نحو ابنتها وكأنها تنوي صفعها، وقبل أن تصل إليها، أوقفها صوت رويس ماكويلان متوعداً: «اهدئي، يا شارون».

ودخل بقامته الفارعة، مرتدياً ملابس العمل اليومية وألقى على كاري نظرة ثاقبة وقال: «كاترينا، خذي ريغي إلى المطبخ إذا لم تتناول بعد فطورها».

قالت لندسي وهي تمرّ به خارجة: «أنا ذاهبة. ليس هناك مكان لي».

فقال رويس ماكويلان: «ولن يعود لك مكان بعد الآن.. لم تر أسرتي منك أي ولاء».

فصرخت لندسي مشيرة إلى شارون بإصبعها: «لم أكن أعلم قط أنها بهذه الدناءة. إنها شيطان في صورة امرأة. لم أعرف أحداً يضاهيها أنانية».

وقالت كاري للطفلة تحثها: «فلنذهب».

أقلقها أن ترى الطفلة خائفة مرتعدة، فلم تكن هذه ريغي الصغيرة الشجاعة.

وتابعت تقول: «هيا يا حبيبتي».

فصرخت شارون برويس: «يا لحسن حظك مع الشابات يا رويس! ألم تأخذها إلى سريرك بعد؟».

هربت كاري واضعة يديها على أذني الصغيرة إلى أن أصبحنا خارج مرمى السمع. في المطبخ تنفست بعمق ثم قالت: «لا بأس، يا ريغي».

لم تجب الصغيرة بكلمة، بل استمرت متشبثة بيد كاري. وعادت كاري تقول بنعومة: «هيا، يا حبيبتي فلنصنع فطورك».

عندما أخذت كاري تمرر يدها على رأس الطفلة، قالت لها فجأة: «أنا خجلى من أمي. أليست فظيعة؟».

بل كريهة فكرت كاري ولكنها لم تستطع أن تقول ذلك طبعاً، بل قالت: «إنها غاضبة، يا ريغي، والغضب يمنع الإنسان من التصرف السليم».

فقالت ريغي: «أرجو أن لا أضطر إلى الذهاب والعيش معها».

فقالت كاري: «أنا واثقة من أن أباك لن يسمح بشيء كهذا».

وأخذت تدعك أصابع الصغيرة شاعرة بتأثير الصدمة عليها.

كانتا واقفتين عند الخلاط عندما عادت مدبرة المنزل إلى المطبخ بسرعة، ثم نظرت إليهما بذعر: «يا إلهي».

وأخذت تمضغ شفتها بقوة محاولة أن تقول المزيد لكن كاري أسكتتها بنظرة وهي تقول بلهجة طبيعية: «إننا نعد وجبة الفطور يا سيدة غينزفورد».

ابتسمت لريغي: «ما رأيك بالآيس كريم معه، هذا الصباح؟».

فقالت ريغي: «شكراً، يا سيدة غينزفورد».

التفتت المرأة إلى كاري: «كاري، لقد تركت سلة بيض طازج على الصينية في الردهة. هل تمانعين في أن تحضريها لي يا عزيزتي من فضلك؟».

فقالت كاري: «لا مشكلة سأعود بعد لحظات».

استطاعت كاري أن تفهم أن مدبرة المنزل كانت مرتبكة ولا تريد أن تغامر بالخروج.

وقالت المرأة: «سأعتني بالصغيرة. أتريدين جوز هند أم كاراميل، يا ريجينا؟».

خرجت كاري من المطبخ بهدوء تام، وهي تسمع شارون تصرخ: «لا يهمني ما تظنه... أنت الرجل الكبير، البالغ النفوذ! ولكنك لا تملك أية سلطة عليّ، لأن ريجينا ليست ابنتك!».

فشعرت كاري وكأنها شُلت عن كل حركة. وإذا برويس ماكويلان يقول بصوت خطر: «حذار مني، يا شارون».

وأخرجها تهديد رويس من ذهولها.

وجدت نفسها تهرع إلى غرفة الطعام، محاولة أن تفي بوعدها للجدة لويز ماكويلان بأن تحافظ على الأسرة. وكانت تسمع شارون تهذي بكلمات جارحة فصرخت بها كاري: «ماذا ستفعلين، يا سيدة ماكويلان؟ قد تسمعك ريغي فتحطمين قلبها».

قال رويس ماكويلان: «عليك أن تتركيها، يا شارون».

كان هذا كثيراً على شارون، فانفجرت بالضحك وهي تقول: «لماذا؟ لأفسح مكاناً لصديقتك الصغيرة؟ يا عزيزتي أخبرتني لندسي بأنها وقعت في غرامك ككل الأخريات».

قال بخشونة: «وهل أخبرتك أيضاً أنني وقعت في غرامها؟ طبعاً لا. لن تصدقا ذلك، ولكنني عرفت الحب أخيراً. وقد استغرق هذا وقتاً».

فشحب وجه شارون: «أنت تريدها فقط لأنها صغيرة وجذابة.. إنها نزوة سرعان ما تنطفىء».

وهمّ بالكلام إلا أن صراخ مدبرة المنزل أسكته.

وشوهدت الفتاة الصغيرة تندفع مسرعة من خلال الباب الأمامي، وهي تردد نائحة لما سمعت من والدتها.

صرخت مدبرة المنزل مرة أخرى برعب بالغ يتآكلها الشعور بالذنب، لأنها تركت للطفلة مجالاً للتنصت، وفي هذه اللحظة، كان الثلاثة يتجهون إلى الردهة، ورويس يسأل عما يحدث.

لقد تنبأت كاري بما حصل. لم تستطع أن تفسر ذلك ولكنها كانت تعلم اين توجهت ريغي فهتفت: «البحيرة».

ونظرت بقلق إلى رويس الذي اندفع وكاري في أثرها، والخوف يزيد في سرعتهما.

نظر الإثنان برعب بالغ، إلى الطفلة التي تركض نحو المنحدر، دون أن تتعثر كما كانا يأملان.

وصاح رويس يناديها بكل قوته: «ريغي. قفي يا ريغي».

لكن الطفلة تابعت الجري، ثم ألقت بنفسها في الماء لتختفي فوراً عن الأنظار.

صرخت كاري بصوت متأوّه: «ريغي».

لا يمكن أن يتصور العقل ما حدث. إنه كابوس.. تفوّق عليها رويس بالسرعة وهكذا تمكنت من رؤيته يغطس في البحيرة حيث اختفى هو أيضاً تحت المياه.

تابعت كاري ركضها يائسة مندفعة على الأعشاب الكثيفة، وعندما وصلت إلى الماء، غطست وقد أدهشها عمقه، ثم غاصت. كانت المياه صافية كالبلور ولكنها كانت عكرة ومظلمة في القعر. بعد مدة اندفعت إلى سطح الماء لكي تتنفس، فرأت رويس يطفو في وسط البحيرة محتضناً بين ذراعيه الطفلة.

واندفعت الكلمات من بين شفتيها: «الحمد لله».

وبانفعال بالغ، اتجهت كاري نحوهما، ولكنه حثها على العودة قائلا: «اخرجي من الماء يا كاري، وأحضري بطانية».

على ضفاف البحيرة كانت جادا تبسط بطانية على العشب فمدّد رويس الطفلة عليها، وأخذ يقوم بالتنفس الاصطناعي. لم يكن هناك أثر لشارون، أما لندسي ومديرة المنزل فوقفتا معاً على مسافة بعيدة وقد شحب وجهاهما وأنهكتهما المأساة، وبينما كان الجميع يبتهلون، تابع رويس ما يقوم به إلى أن عادت الحياة إلى ريغي وحاولت تقيؤ ما ابتلعته.. كانت كاري راكعة على ركبتيها بجانب الطفلة والدموع تنهمر من عينيها وهي تهمس: «ريغي!».

كانت تظن أنها عانت أشد انواع العذاب ولكن هذه الطفلة التي حطمتها قسوة الكبار قد فاقتها ألماً.

وجاء مراقب عمال رويس راكضاً، نحو المنحدر، مع اثنين من مربي الماشية وتيم بارتن وكان على وجوههم إمارات الصدمة. أعلن مراقب العمال: «يا لله، يا رويس، هل نطلب طبيباً؟».

التفت رويس إليهم: «إنها بخير الآن. ولا أظنها بحاجة إلى طبيب، فهي لم تمض وقتاً طويلاً في الماء ولكنني سأحملها إلى البيت وأضعها في السرير».

ونهض محتضناً الطفلة بين ذراعيه، وعلى وجهه الوسيم دلائل الغضب العميق. والتفت نحو كاري قائلاً: «لفّي نفسك بهذه البطانية يا كاري».

وتقدم «تيم» بسرعة يضع البطانية على كتفي كاري، كانت شاحبة من تأثير الصدمة وشعر تيم بالعجز. ما الذي حدث هنا هذا الصباح؟ كان الجميع يعلمون أن الزوجة السابقة شارون قد عادت. ورغم كونها امرأة بالغة الجمال، لم يحبها أحد من الموجودين بما في ذلك أبوه هو، والأهم من ذلك، أين هي الأم الآن؟

ونظر تيم حوله فلم يجد لها أثراً، لماذا لم تكن هنا لتحتضن طفلتها؟ لماذا لم تكن هنا تبكي مثل كاري؟ لم يفهم تيم شيئاً، ووقف يتأمل بذعر واستغراب تام.

***

٩ ـ البداية

استغرق شفاء ريغي من محنتها أسابيع. وبعد مرور وقت، أصبحت سعيدة واثقة من نفسها، وهي تتابع دراستها وتدريبها الموسيقي. . اعتبر الإثنان، كاري ورويس، أن دروس البيانو قد ساعدتها كثيراً خصوصاً عندما ابتدأت كاري تعلم الطفلة العزف. لم تكن كاري تبحث عن نتائج متفوّقة، بل عن طريقة ما لتحويل ذهن ريغي عن أفكارها الحزينة. أما ما لم تتوقعه كاري، فهو أن تألف الفتاة الموسيقى كما يألف البط الماء، وبمجيء العيد في تلك السنة، كانت ريغي تتطلع بشوق إلى متابعة دروسها التي تُعطى لها مرتين في النهار لكي تتقدم بسرعة.

كانت كاري تعزف قطعاً صغيرة، تاركة للطفلة أن تلاحظ يديها وكان لذلك نتائج مشجعة.

أصبحت الموسيقى اهتماماً مشتركاً لهما وشغفاً يتبادلانه. لقد حلّقت موسيقى كاري بروح الأسرة عالياً حتى أن عمال المنزل وجدوا متعة في العمل على إيقاع النغمات.

أما بالنسبة إلى شارون، فقد استقلت الطائرة من مارامبا، مكفهرة الوجه في عصر اليوم نفسه. ولكنها أخبرت الجميع قبل ذهابها بطريقة هستيرية أنها لا تلوم نفسها أبداً لما حدث. لم تشعر بمسؤوليتها عما سمعته «ريغي» التي كانت عادة استراق السمع متأصلة في نفسها، ما جعلها تسمع أشياء لا ترضيها. لم ترد شارون الإقرار بالخطأ لأنه قد يُحسب في

عداد الندم وتبكيت الضمير لذا فضلت الإنكار. غير أن ما حدث بين «رويس» وزوجته السابقة بقي مجهولاً وكل ما عرفته هو أن شارون تخلت عن المطالبة بابنتها لأن حياتها لا تتضمن مكاناً لطفلة صغيرة.

وجد رويس صعوبة كبرى في شرح الموضوع لريغي، ومع ذلك استطاع اقناعها بأنها طفلته الصغيرة (بالاختيار)، فهو إذن ليس أباها بالولادة، وعليهما، هما الاثنين أن يقبلا بالواقع. فهي ابنته وهو يحبها ويريدها ولو اختارت أمها لتملكه حزن هائل لفقدانها.

ومع مرور الأسابيع، تقبلت ريغي الوضع، وهي التي تفوق سنها نضجاً. إنها ريجينا ماكويلان و«مارامبا» هي موطنها، ورويس أبوها، وبدأت تناديه بابا. في البداية كانت مترددة، ثم أصبح الأمر طبيعياً لديها، كما توطدت محبتها لكاري.

في فجر العيد، تماماً كما خططا، ركب رويس وكاري جواديهما إلى منطقة المراعي الشاسعة للانزواء ببعضهما. كان هذا وقتاً مستقلاً لهما. . إنه وقت كانا بحاجة ماسة إليه لعمق لهفتهما إلى بعضهما بعضاً. فالمنزل يعج بأقارب رويس وآخرين كانوا وصلوا بالطائرة هذا الصباح.

جرت العادة أن يتحول العيد لدي اسرة ماكويلان الكبيرة إلى مهرجان لأنهم يأتون جميعا إلى بيت الأسلاف للاحتفاء به، أما «كاميرون ولندسي» فكانا غائبين عن الاحتفال يستمتعان بإجازة طويلة في اوروبا. والجدة المسنّة باتت تشعر بتحسن كبير هذه الأيام بعد أن زال من ذهنها كثير من الأعباء وكانت تتطلع منشوقة إلى جمع شمل الأسرة.

اجتاز «رويس وكاري» عدة أميال فوق العشب الأخضر المختلط بالزهور البرية ذات اللون الليلكي والبنفسجي. كانت طيور البيغاء تحلقُ حولهما بألوانها البرّاقة. . كانت سكينة الصباح سحرية وعبر الوادي الفسيح، ثمة حشد من المستخدمين يستعدون لفصل الأمطار ويجمعون المواشي من كل أنحاء المركز.

أثناء رحلة العودة وصلا إلى البحيرة وكان الجو مثقلاً برائحة الفاكهة

والتفت إليها رويس: «أريد أن أريك شيئاً».

وكان في صوته عجلة.

- يمكننا أن ننزل عن جوادينا هنا بجانب شجرة التين هذه.

وأشار إلى شجرة كبيرة وارفة الظل.. انزلقت كاري عن ظهر الجواد إلى ذراعي رويس المفتوحتين.. وهي تفكر أنه يمكن للحب أن يحدث مرة واحدة في الحياة، هذا إذا حدث.

كل نظرة منه كانت أشبه باحتكاك جسدي، فجسدها يغني لمجرد لمسة منه وكأنها خلعت جلدها الظاهر ليبدو تحته جلد جديد ناعم.

لم تشعر في حياتها بهذه المشاعر ولكنها الآن أصبحت تشعر بمتعة كبرى بسبب هذا الرجل فقط.

أحنى رأسه يعانقها إلى أن أخذت ترتجف بين ذراعيه. ثم قال: «أحبك يا كاترينا. لا يمكن أن تسد مكانك امرأة».

فقالت وهي تطوّق عنقه بذراعيه: «إذن فالحب الحقيقي موجود كما يُقال؟».

فأجاب مفتوناً بجوابها: «لا تدعي أي شخص يخبرك بالعكس. لقد غيّرت حياتي ولا أحتمل أن يمضي العمر من دونك».

ومد أصابعه إلى جيب قميصه وأخرج علبة صغيرة، ثم نظر في عينيها كما ينظر الرجل إلى امرأة يحبها: «هذه تقول: تزوجيني».

فقالت: «أحقاً؟».

وارتجف صوتها قبل أن تبدأ بالبكاء، فشدّها إليه وهزّها برفق قائلاً: «لا تفعلي هذا، يا حبيبتي. أنا أريد فقط أن أسعدك».

فقالت وهي تمسح دموعها: «وهذا ما تفعله. أحبك من كل قلبي».

فقال: «افتحي العلبة الآن، أريد أن اعرف إذا ما اعجبتك. جعلت الصائغ يرسلها إليّ مع تصميماته واخترت أنا الأحجار. وهذه هي النتيجة».

فتحت كاري العلبة، ثم شهقت قائلة: «أنا أحلم!».

فقال حابساً أنفاسه إزاء تألق وجهها: «لا. أنت لا تحلمين».

فقالت: «ما أجمله يا رويس! وما أغلاه!».

وحملقت فيه بعينيها الذهبيتين الكبيرتين، فقال: «إنه الخاتم المناسب لك بالضبط».

وأمسك بيدها اليسرى، فقبلها، ثم وضع خاتم الخطبة في إصبعها. كان خاتماً رائعاً تتألق في وسطه ماسة ملوّنة رائعة من غرب استراليا، تحيط بها ماسات صغيرة بيضاء.

قال لها وهو ينظر في عينيها المتألقتين: «تألق هذه الماسة الرائع لا يقارن بتألق عينيك».

فقالت وهي تدس رأسها بصدره: «أواه، يا رويس، شكراً، شكراً، أنا أحبك».

تمتم: «كاترينا، حبيبتي».

وأمسك بقبضة من شعرها يرفع بذلك رأسها لتنظر إليه. فسألته: «ألا تعرف أن النساء يبكين في ذروة السعادة؟».

فامتلأت ضحكته بهجة: «يمكنني أن اتصورك عندما يولد ابننا».

فقالت بصوت خافت وهي ترفع ذراعيها إلى السماء الزرقاء: «آه، نعم! كيف يمكن أن يحب المرء شخصاً بهذا المقدار؟».

وكان جوابه ساراً فورياً: «سأريك عندما نتزوج».

وهب نسيم من مكان ما، فتماوجت الأزهار النامية على ضفاف البحيرة، تنثر عليهما البراعم الذهبية فتستقر على اكتافهما وشعرهما، أشبه بقصاصات الورق الملونة التي تُنثر على العروسين.

* * *